

شبهات المستشرقين حول الوحي والرد عليها

دكتور / إبراهيم خليفة عبد اللطيف *

الحمد لله وأصلي وأسلم على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه . وبعد
فإن للمستشرقين اهتمام كبير بالإسلام والعالم الإسلامي تمتد آثاره على مر الزمن ،
فهـم دائـبـون على عمل البحوث والدراسات في هذا الشأن ، حيث يتناولون فيها حاضر
المسلمين بصفة خاصة ، وماضيهم ، ومستقبلهم المنظور ، كما يتناولون الإسلام من جوانب
شتى ، وقد يعجب المرء من هذا النشاط غير العادي ويتساءل : ما الذي يدفع المستشرقين
إلى هذا الاهتمام البالغ بكل ما يتعلق بالإسلام والمسلمين ؟

وتختلف الإجابة ، فمن قائل : إن هذا طبع في الغرب ، ومن قائل : إنها هواية
شخصية يُرضي بها المستشرق نفسه ، ويُفرغ فيها طاقته ، إلى غير ذلك من الأسباب ، دون
أن يفتن الإنسان إلى حقيقة الاستشراق^(١) وأهدافه ووسائله .

إن للمستشرقين سياسة مرسومة لإيهام المسلمين بأنهم دعاة حق يؤمنون به حين يرونه
أيا كان نوع هذا الإيمان ، والحقيقة أن تحاملهم على الإسلام غريزة موروثية ، وخاصة طبيعية
تقوم على المؤثرات التي خلفتها الحروب الصليبية في عقول الأوربيين ، وكان الغرض منها
محاولة القضاء على الإسلام بكل الوسائل التي يمكن استخدامها في هذا السبيل .

ولما كان الوحي من أهم الأمور وأعظمها في الإسلام ، لأنه الأساس الذي يبنى عليه
أمر الدين ، فإذا ما فقد الوحي فقد الدين ، فقد أدرك المستشرقون أهميته ، إذ التصديق به
يعتبر القاعدة للتصديق بنبوّة النبي ﷺ ، وانطلاقاً من عدم تصديقهم بنبوته ﷺ قاموا
بالتشكيك في الوحي تمهيداً للتشكيك في نبوته ﷺ وسائر جوانب الإسلام .

* قسم العقيدة والفلسفة — كلية أصول الدين والدعوة جامعة الأزهر — المنصورة — مصر .

لقد تجاهل المستشرقون حقيقة الوحي وذهبوا مشككين في مجيء الوحي إلى النبي ﷺ ، وقد تباينت أقوالهم ، فمن قائل : إن الوحي حالة نفسية كانت تعتربه ﷺ ، وقد أطلقوا عليه الوحي النفسي ، ومن قائل : إن الوحي حالة مرضية تنتابه ﷺ ، وهي كالصرع ، ومن قائل : بأن معلوماته ﷺ وأفكاره وآماله ولدت له إلهاما فاض من عقله الباطن أو نفسه الخفية الروحانية العالية على مخيلته السامية ، وانعكس اعتقاده على بصره ، فرأى الملك ماثلا على سمعه ، فوعى ما حدث الملك به ، وعلى هذا فالوحي عبارة عن تخيلات من فعله ﷺ ، ومن قائل : إنه ﷺ كان في أشد حالات الصحة بأنواعها نفسية وبدنية وعقلية ، إلا أن ما زعمه من نزول الوحي عليه كان مقتبسا من اليهودية والنصرانية ، نتيجة لما جمعه من البيئة التي كانت مملوءة بالرهبان والقسيسين ، ومن ثم ذهب أصحاب هذا الرأي إلى أنه ﷺ كان تلميذا مخلصا لورقة بن نوفل وغيره ، إلى غير ذلك من الشبهات التي ساقوها ، وقد كان وراءهم غرض خبيث هو التشكيك في نبوته ﷺ .

ومن العجيب أنه في الوقت الذي ركز المستشرقون فيه جل جهودهم في التشكيك في الوحي إلى النبي ﷺ ، يوقنون فيه بصدق وقوعه لغيره من الأنبياء السابقين ، وقد غاب عن أذهانهم حقيقة كبرى هي : أن الوحي إلى النبي محمد ﷺ ، لا يختلف في شيء عن الوحي إلى غيره من الأنبياء السابقين من حيث الوقوع ، ولذا حاولوا أن يفسروا الوحي وكيفياته تفسيراً يتناسب مع هذا الزعم الجائر، والضلال المبين .

ويشتمل هذا البحث على مبحثين :

المبحث الأول : التعريف بالوحي وكيفياته .

المبحث الثاني : شبهات المستشرقين حول الوحي والرد عليها .

وهي على الوجه التالي :

أولا : شبهة الوحي النفسي والرد عليها .

ثانيا : شبهة أن الوحي عبارة عن أمراض نفسية وعقلية والرد عليها .

ثالثا : شبهة أن الوحي مقتبس من اليهودية والنصرانية والرد عليها .

رابعا : شبهة الغرائق والرد عليها .

وهذا البحث محاولة لإيراد شبهات المستشرقين حول الوحي والرد عليها .

المبحث الأول : التعريف بالوحي وكيفيةاته

تمهيد

تظهر لنا أهمية دراسة الوحي من خلال أنه الخاصة الأولى للنبوّة ، وأساسها الذي تعتمد عليه ، فهو الأساس في الدعوة للنبوّة ، وبدونه تفقد النبوّة أساسها ، ومن ثم فعلاقة الوحي بالنبوّة علاقة إثبات وتحقيق .

يقول القاضي عبد الجبار في بداية حديثه عن النبوات : (ووجه اتصاله بباب العدل ، هو أنه كلام في أنه تعالى إذا علم أن صلاحنا يتعلق بهذه الشرعيات ، فلا بد من أن يعرفها لكي لا يكون مخللاً بما هو واجب عليه . ومن العدل أن لا يخل بما هو واجب عليه) .^(٢)

ومعنى كلامه أن كون الله عادلاً ، فهذا يلزم تبليغ شرائعه للبشر ، وهذا لا يتحقق إلا عن طريق النبي بواسطة الوحي ، أي أن الوحي ضرورة لازمة ، ذلك لأنه أساس حقيقة الرسالة كرسالة إلهية ، وأساس ما لها من القداسة ، وهو طريقها الوحيد ، وأهم مراكزها .
أولاً : الوحي في اللغة .

وردت كلمة "الوحي" في اللغة بمعان مختلفة ، إلا أن هذه المعاني تدور في الواقع حول معنى الخفاء والسرعة ، والإلهام ، فيقال : أوحى إليه أي أومأ إليه ، ووحيت إليه وأوحيت ، أي كلمته بما تخفيه عن غيره .^(٣)

ووردت في القرآن في صيغة الفعل والمصدر (في ٧٠ آيه منها ٦٤ مكية و ٦ مدنيه) ودلت على معان مختلفة ، فالوحي يدل على : -

- الإشارة السريعة على سبيل الرمز ، قال تعالى : ﴿ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ (مريم: ١١)

وقال تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْرًا ﴾ (آل عمران: من الآية ٤١)

- الإلهام الفطري للإنسان مثلما أوحى إلى أم موسى ، وقال تعالى : ﴿ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ ﴾ (طه: ٣٨) وقال : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ﴾ (القصص: من الآية ٧)

- الإلهام الغريزي للحيوان والإيماء بالجوارح ، قال تعالى : ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾ (النحل: ٦٨)

— وسوسة الشيطان وتزيينه خواطر الشر للإنسان، قال تعالى : ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرَهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ (الأنعام: ١١٢)

— ما يلقى الله إلى الملائكة من أمر ليفعلوه ، قال تعالى : ﴿وَإِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ (الأنفال: ١٢)

واستعملت الكلمة أيضا لتدل على الكتاب أو الرسالة التي توجه لشخص ما لأخذ العلم بأمرها ، ثم استعملت فيما بعد لتدل بنوع خاص على ما يرسل الله إلى أنبيائه .^(٤)

والقول الجامع في معنى الوحي أنه الإعلام الخفي السريع الخاص بمن يوجه إليه بحيث يخفى على غيره ، ووحى الله تعالى إلى أنبيائه روعي فيه المعنيان الأصليان لهذه المادة ، وهما الخفاء والسرعة ، فهذا المعنى هو المصدر ، ويطلق على متعلقه وهو ما وقع به الوحي أي الحكم أو الأمر الموحى والمرتل على النبي ﷺ .^(٥)

ثانيا - الوحي في الشرع .

استعملت كلمة الوحي في الشرع وهي تحمل عدة معان ، منها :

أنه : إعلام الله ، رسولا من رسله أو نبيا من أنبيائه ، ما يشاء من كلام أو معنى بطريقة تفيد النبي أو الرسول العلم اليقين القاطع بما أعلمه الله به ، أو هو : كلام الله تعالى المرتل على نبي من أنبيائه .^(٦) ونلاحظ أن هذا التعريف قد جاء بمعنى "الموحى" (اسم المفعول) .

وعرفه الشيخ محمد عبده بأنه : (عرفان يجده الشخص من نفسه مع اليقين بأنه من الله بواسطة أو بغير واسطة، والأول بصوت يتمثل لسمعه أو بغير صوت).^(٧)

ومن التعريفات السابقة نجد أن الوحي قد استجمع عدة عناصر هي :

- أنه إعلام من الله يأتي ، وإدراك النبي أو الرسول لما يلقى إليه، دون أن يتدخل في مضمونه معنى ولفظا (إذا كان الوحي لفظا أيضا) قال تعالى : ﴿وَإِذَا تَنَلَّىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا إِنَّكَ بَقْرَانٌ غَيْرٌ هَذَا أَوْ بَدَّلْتَهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَبَدِّلَهُ مِنْ تَلَقَّاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (يونس: ١٥)
- واليقين القاطع بأن (الموحى) هو الله .

• وأن ظاهرة الوحي ناموس إلهي يتلقى به جميع الرسل والأنبياء ما يلقي إليهم من إعلام، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالتَّيِّبِينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ (النساء: ١٦٣).

فهذه العناصر إذن حسب النصوص القرآنية ما يلي:

- الأنبياء والرسل هم من البشر اصطفاهم الله ذاته بالنبوة .
- الوحي هو وسيلة الإلهام الإلهي إن كان للملائكة أم للبشر.
- الرسل والأنبياء يشعرون بوضوح بظاهرة الوحي.
- إن ما يلقي به قد يكون كلام ملفوظ، أي سبق كتابته في لوح محفوظ، وقد يكون معاني يمكن التصرف بأدائها بألفاظ من عند النبي وتبقى إرادة النبي بعيدة عن كل تداخل في مضمون أو لفظ ما يلقي إليه بالوحي. (٨)

ثالثا : موضوع الوحي وكيفيته .

١- موضوع الوحي أو مضمونه .

إن موضوع أو مضمون الوحي هو كلام الله الموحى إلى محمد ﷺ ، والأنبياء قبله لكي يبلغه إلى الناس، ومجموع ما أوحى إلى محمد ﷺ يؤلف كتاب الله وهو القرآن الكريم، والسنة. وكلمة القرآن تدل على الكلام المعجز المتروك على محمد، المكتوب في المصاحف، والمنقول عنه بالتواتر المتعبد بتلاوته، وقد أطلق عليه أسماء عديدة ، منها : الكتاب، والذكر، والتريل. (٩) وكان بدء نزوله في ليلة القدر، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ (القدر: ١) وكان محمد ﷺ على رأس الأربعين من عمره ، وظل القرآن يترل عليه منجماً معني ومبني خلال ثلاثة وعشرين عاما ، قضى منها ثلاث عشرة سنة في مكة وعشر سنين في المدينة ، وكان يتم ذلك حسب الحاجة متدرجا مع الوقائع والأحداث .

وقسم القرآن إلى سور مكية وسور مدنية، حسب النزول مكانا وزمانا، والمشهور أن المكي ما نزل قبل هجرة الرسول إلى المدينة ، وإن كان نزوله بغير مكة، والمدني ما نزل بعد الهجرة، وإن كان بمكة.

٢- كيفية الوحي .

يتحدث القرآن الكريم عن كيفية الوحي في قوله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (الشورى: ٥١) واستنادا إلى الآيات القرآنية والأحاديث النبوية استخلص المسلمون أنواع الوحي المختلفة ، وميزوا طرق الوحي ، فمنها ما كان بغير واسطة، ومنها ما كان بواسطة .

• الوحي بغير واسطة .

يتم الوحي بغير واسطة بقذف الله الكلام أو المعاني في القلب قذفا مباشرا ، يفيد النبي علما قطعيا ضروريا بأن ذلك من عند الله تعالى ، وذلك إن كان الوحي رؤيا في المنام أو اليقظة وهذا ما تم للملائكة ، ولإبراهيم عليه السلام في الرؤيا ، أو محمد عليه السلام يقظة في ليلة الإسراء .^(١٠)

فالدليل على الرؤيا يقظة ما حدث لسيدنا موسى عليه السلام، كما في قوله تعالى : ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ (النساء: من الآية ١٦٤) وما حدث لسيدنا محمد عليه السلام كما في قوله تعالى : ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَيَّ عَبْدُهُ مَا أَوْحَىٰ﴾ (النجم: ١٠)

والدليل على الرؤيا مناما ما جاء في القرآن الكريم من قوله تعالى : ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا آبَتُ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ (الصافات: ١٠٢)

• وما جاء في السنة من حديث عائشة رضي الله عنها : (أول ما بدئ به رسول الله عليه السلام من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح).^(١١)

• الوحي بواسطة .

ويتم ذلك كما في الآية (من وراء حجاب) أي أن الله يسمع كلامه دون أن يراه السامع ، وهذا ما حدث لموسى في الطور، أو أن يتم بإرسال ملاك ترى صورته المعينة، أو يتراعى للرسول بشكل رجل ، ويسمع كلامه ، فيوحي إلى الرسول ما أمره الله أن يوحيه إليه... وهذا ما يحدث لأكثر الأنبياء ، وكما حدث خصوصا لنبينا محمد عليه السلام .^(١٢)

بعد أن تحدثنا عن موضوع الوحي وكيفيته ، نستطيع أن نقول : إن الوحي النبوي شيء لا يتعارض مع العقل الذي يعرف قدره ، وأنه طور أسمى من إدراك العقل ، فلا ينبغي أن يكون للعقل حكما فيه ، لأنه ليس من ميدانه ولا يخضع لمقاييسه .

ولما كان الوحي أسمى من العقل ، فقد قربه الله تعالى إلى خلقه بأن أعطاهم أعموداً من خاصية النبوة أو الوحي ، وهي الرؤيا المتامية ، إذ يدرك النائم ما سيكون من الغيب إما صريحاً، وإما في كسوة مثال يكشف عنه التعبير ، وهذا الذي يحدث في النوم ، لو لم يجربه الإنسان من نفسه وقيل له : إن من الناس من يسقط مغشياً عليه كالميت ويزول عنه إحساسه وسمعه وبصره ، فيدرك الغيب لأنكر وأقام البرهان على استحالته ، وقال القوى الحساسة أسباب الإدراك ، فمن لم يدرك الأشياء مع وجودها وحضورها ، فبأن لا يدركها مع ركودها أولى وأحق ، وهذا نوع قياس يكذبه الوجود والمشاهد ، فكما أن العقل طور من أطوار الآدمي يحصل فيه عين يبصر بها أنواع من المعقولات ، والحواس معزولة عنها ، فالنبوة أيضاً عبارة عن طور يحصل فيها عين لها نور ، يظهر في نورها الغيب ، وأمور لا يدركها العقل .^(١٣)

المبحث الثاني: شبهات المستشرقين حول الوحي والرد عليها

أولاً : شبهة الوحي النفسي والرد عليها

يصورُ المستشرق "بروكلمان"^(١٤) لنا الوحي النفسي الذي يزعمه هو ومن قال به فيقول: (بينما كان بعض معاصري النبي، كأمية بن أبي الصلت^(١٥)، شاعر الطائف، وهي بلدة بمحذاء مكة، يكتفون بوحداية عامة، كان محمد يأخذ بأسباب التحنن والتنسك ، ويسترسل في تأملاته حول خلاصة الروحي، ليالي بطولها في غار حراء قرب مكة لقد تحقق عنده أن عقيدة مواطنيه الوثنية فاسدة فارغة، فكان يضج في نفسه هذا السؤال، إلى متى يمدهم الله في ضلالهم، مادام هو عز وجل قد تجلى، آخر الأمر، للشعوب الأخرى بواسطة أنبيائه؟ وهكذا نضجت في نفسه الفكرة أنه مدعو إلى أداء هذه الرسالة، رسالة النبوة، ولكن حياءه الفطري حال بينه وبين إعلان نبوته فترة غير قصيرة، ولم تبد شكوكه إلا بعد أن خضع لإحدى الخبرات الحارقة في غار حراء. ذلك بأن طائفاً تجلى له هنالك يوماً، هو الملك جبريل، على ما تمثله محمد في ما بعد، فأوحى إليه أن الله قد اختاره لهداية الأمة، وآمنت زوجته في الحال برسالته المقدسة، وتحرر هو نفسه من آخر شكوكه بعد أن تكررت الحالات التي ناداه فيها الصوت الإلهي وتكاثرت. ولم تكد هذه الحالات تنقضي حتى أعلن ما ظن أنه قد سمعه كوحي من عند الله .^(١٦)

ففي هذا القول يزعم "بروكلمان" أن الوحي الذي جاء رسول الله ﷺ أمر ذاتي من داخل نفسه ، وخياله الواسع، وعقله المتوقد ذكاءً .

والمأمل في هذه الشبهة يرى أنها مع طعنها في الوحي المرسل على رسول الله ﷺ تطعن في عصمته فيما بلغه من الوحي عن ربه عز وجل .
ويمكن الرد على هذه الشبهة بالآتي :

أولاً : يقول د/ محمد عبد الله دراز : (إن هذا الرأي الذي يروجه الملحدون باسم "الوحي النفسي" زاعمين أنهم بهذه التسمية، قد جاءونا برأي علمي جديد ، وما هو مجيد ، وإنما هو الرأي الجاهلي القديم ، لا يختلف في جملته ولا في تفصيله، فقد صوروا- أهل الجاهلية- النبي ﷺ رجلاً ذا خيال واسع وإحساس عميق ، فهو إذن شاعر ، ثم زادوا فجعلوا وجدانه يطفى كثيراً على حواسه ، حتى يخيل إليه أنه يرى ويسمع شخصاً يكلمه ، وما ذاك الذي يراه ويسمعه إلا صورة أخيلته ووجداناته، فهو إذن جنون أو أضغاث الأحلام ... فأبي جديد ترى في هذا كله؟ أليس كله حديثاً معاداً يضاhton به قول جهال قريش؟ وهكذا كان الإحاد في ثوبه الجديد صورة منسوخة بل منسوخة منه في أقدم أثوابه) . (١٧)

ثانياً : إن صورة الوحي النفسي كما صوروه مبنية على وجود معلومات وأفكار مدخرة في العقل الباطن، وأنها تظهر في صورة رؤى ثم تقوى فيخيل لصاحبها أنها حقائق خارجية .
وهنا تساؤل : هل ما جاء به محمد ﷺ من دين يتضمن العقيدة والشريعة بما فيه من القصص والأخلاق ، والمعاملات ، والحدود ، كان مركزاً أو مدخراً في نفسه ﷺ ؟ .
هذا ما تنكره العقولُ بداهة، لأن ما جاء به ﷺ من تعليمات عن طريق الوحي من الله تصحيحاً للعقائد التي كانت سائدة آنذاك من الشرك والوثنية، والمجوسية، والتأليه، والتثليث، والصلب، وإنكار البعث، واليوم الآخر، وكذلك التشريعات التي جاء النبي ﷺ لم تعرف في الشرائع السابقة عليه .

وكذلك قد اشتمل الوحي الذي جاء للنبي ﷺ ، على أسرار في الكون والأنفس والآفات، لم تخطر على بال بشر ، ولم يظهر تأويلها والوقوف على بعض أسرارها إلا بعد تقدم العلوم والمعارف ، فكيف تكون هذه الأسرار من داخل نفس النبي ﷺ وهي لم تخطر له على بال .

ثالثاً : أكد الله تعالى في القرآن الكريم على أن الوحي من عنده تعالى ، ومن ثم فهو أمر خارج عن نفس النبي ﷺ وليس نابعاً من داخلها، قال تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ لَنَزِيرٌ لِّرَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ (الشعراء: ١٩٢-١٩٥) .

ومن هنا يتبين أن الوحي شيء ومحمد ﷺ شيء آخر ، فكيف يكون من نفس النبي أو خيالا فيها ، وهو منفصل عن ذاته ﷺ ، وقد قال الله تعالى في صفاته : ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ مُطَاعٍ ثُمَّ أَمِينٍ﴾ (التكوير: ١٩-٢١) .

يقول الإمام الرازي في معنى هذه الآيات : واعلم أنه تعالى وصف جبريل ههنا بصفات ست: أولها رسول ، وثانيها : أنه كريم ، وثالثها : ذي قوة أي حمله على الشدة ، ورابعها : عند ذي العرش مكين ، وهذه العندية ليست عندية مكان ، ولا جهة ، وإنما عندية الإكرام والتشريف والتعظيم ، وأم مكين فهو ذو الجاه الذي يعطي ما يسأل ، وخامسها : مطاع أي عند الله مطاع في ملائكته المقربين وهذا تعظيما للأمانة ، وسادسها : أمين قد عصمه الله من الخيانة والزلل .^(١٨)

رابعاً : أنه ليس في الوحي إلى النبي ﷺ ما يستبطن من العقل والتفكير ، أو ما يدرك بالوجدان والشعور حتى يمكن القول بأن النبي ﷺ أتى به من عند نفسه .

إن في الوحي من المعاني النقلية البحتة ما لا مجال فيها للذكاء والاستنباط، ولا سبيل إلى علمها لمن غاب عنها إلا بالدراسة والتلقي والتعليم ، والمعاشة .

ومن ذلك مثلاً ما جاء به من أنباء ما قد سبق من الأنبياء التي لم يعاصرها النبي ، وما فصله من تلك الأنبياء، على وجهه الصحيح .

إن دلائل التاريخ والعقل لترد على هذه الفرية التي افتروها في حقه ﷺ (فأما التاريخ فإنه يحدثنا - مثلاً - بأن ظهور الفرس على الروم كان في سنة ٦١٠ م وذلك بعد رحلة محمد ﷺ الخيرة إلى الشام بأربع عشرة سنة ، وقبل الوحي بسنة ، ثم إن التاريخ أنبأنا أن دولة الروم كانت محتلة معتلة في ذلك العهد ، بحيث لم يكن أحد يرجو أن تعود لها الكرة والغلب على الفرس ، حتى إن أهل مكة أنفسهم هزءوا بالخير ، وراهن أبو بكر أحدهم على ذلك ، وأجازه النبي ﷺ فربح الرهان . وأما العقل فإنه يحكم بأن مثل محمد ﷺ في سمو إدراكه المتفق عليه ، لا يمكن أن يجزم بأن الغلب سيعود للروم على الفرس في مدة بضع سنين ، لا من قبل الرأي ولا من الوحي النفسي المستمد من الأخبار غير الموثوق بها ، وقد صح أن انتصار الروم وقع سنة ٦٢٢ م ، وكان وحي التبليغ للنبي ﷺ سنة ٦١٤ م ، فإذا فرضنا أن سورة الروم نزلت في هذه السنة ، يكون النصر قد حصل بعد ثمان سنين ، وإن كان في السنة الثانية تكون المدة سبع سنين ، وهو المعتمد في التفسير ، والبضع يطلق على ما بين الثلاث والتسع) .^(١٩)

فهل يقال : إن هذا التاريخ يمكن وضعه بإعمال الفكر، ودقة الفراسة ؟ أم يقال - عن طريق المعاندة والمكابرة - : إن محمداً ﷺ قد عاصر تلك الأمم الخالية، وشهد هذه الوقائع مع أهلها شهادة عيان ، أو يقال : إنه ﷺ قد ورث كتب الأولين ، فعكف على دراستها حتى أصبح من الراسخين في علم دقائقها ؟

إنه لا يسعهم مثل هذه الأقوال جميعا ، وإنما هي المعاندة والتشكيك في الحقيقة التي لا يماري فيها عاقل ، قال تعالى : ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ ﴾ (هود: من الآية ٤٩) وقال تعالى : ﴿ وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لِارْتَابِ الْمُبْطِلِينَ ﴾ (العنكبوت: ٤٨)

بل إن نصوص القرآن الكريم صريحة في أنه ﷺ لم يكن يعرف شيئا من أخبار الرسل وقصصهم قبل الوحي وقد اعترف المستشرقون أنفسهم بأنه ﷺ لم يكن ليكذب على أحد فضلا عن الكذب على الله تعالى ، كما اعترف بذلك أبو جهل نفسه .

خامساً : إن النبي ﷺ لم يكن يطمع في الحصول على النبوة ، ولم يرد في الأخبار الصحيحة أنه ﷺ كان يرجو أن يكون هو النبي المنتظر الذي يتحدث عنه علماء اليهود والنصارى قبل بعثته، حتى يخيل الوحي إلى نفسه كما يدعي أصحاب هذه الشبهة ، وقد نفى القرآن ذلك عنه في قوله تعالى : ﴿ وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ ﴾ (القصص: من الآية ٨٦) . لكن ألقى إليك رحمة من ربك ، وباللناس كلهم ، لا كسب لك فيه بعلم ولا عمل ، ولا رجاء ولا أمل ، فهو نعمة من الله وفضل. (٢٠)

سادساً : جعل الله تعالى استعداد محمد ﷺ لتلقي الوحي والنبوة أمرا فطريا وهيبا ، ومن ثم فليس الوحي والنبوة أمرا كسبيا يناله المرء بسعيه وكسبه، بل إن ذلك اصطفاء من الله تعالى يختص به من يشاء من عباده ، قال تعالى : ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾ (الأنعام: من الآية ١٢٤) وقال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ (البقرة: من الآية ١٠٥) ولما قال المشركون ما حكاه القرآن الكريم عنهم في قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ (الزخرف: ٣١) أجابهم الله تعالى بقوله : ﴿ أَلَمْ يَقْسِمُوا رَحْمَتَ

رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ
بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحِمْتَ رَبُّكَ خَيْرًا مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ (الزخرف: ٣٢)

وأما اختلاؤه ﷺ وتعبده في الغار عام الوحي، فلا شك في أنه كان عملاً كسبياً مقوياً لذلك الاستعداد الوهبي، ومعينا له على العزلة وعدم مشاركة المشركين في شيء من عباداتهم ولا عاداتهم، ولكنه لم يكن يقصد به الاستعداد للنبوة، لأنه لو كان لأجلها لاعتقد حين رأى الملك أو عقب رؤيته حصول مأموله، وتحقق رجائه، ولم يخف منه على نفسه.

وإنما كان الباعث لهذا الاختلاء والتحنث، اشتداد الوحشة من سوء حال الناس في عقائدهم وأخلاقهم، والهرب منها، إلى الإنس بالله تعالى والرجاء في هدايته إلى المخرج منها. (٢١)
وقد جعل الله تعالى النبوة في محمد ﷺ، كما جعلها في الرسل قبله، واصطفاه لذلك؛ فأى غرابة وعجب في ذلك؟

سابعا: إن ما حدث للنبي ﷺ حين نزول الوحي عليه يؤكد أن ذلك لم يكن حدثا نفسيا يمكن إحضاره كما يدعي أصحاب هذه الشبهة، والدليل على ذلك ما كان يعتره من أعراض لا يستطيع السيطرة عليها، كاحمرار وجهه، وتتابع أنفاسه، والعرق الذي يتصبب منه في اليوم الشديد البرد، وثقل جسمه، وصوت دوي النحل الذي يسمعه الصحابة عند وجهه.
أضف إلى ذلك ما انتابه ﷺ من حالة الخوف حينما نزل عليه الوحي في مبدأ أمره، كما جاء في قوله ﷺ: ﴿لقد خشيت على نفسي﴾ وقوله: ﴿زملوني زملوني، حتى ذهب عنه الروع﴾ (٢٢) وفي رواية قوله: ﴿فإذا الذي جاءني بحراء جالسا على كرسي بين السماء والأرض، فجننت منه رعبا﴾.

ومما يدل على أن النبي ﷺ لا قدرة له على إحضار الوحي وجلبه، كما يدعي هؤلاء، فيور الوحي وانقطاعه عنه، فترة من الزمن، حتى شق ذلك عليه وأحزنه، وأقضى مضجعه، ثم جاءه جبريل بعد ذلك بقوله تعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ (الضحى: ٣)

وأیضا حينما أبطأ الوحي في العرول على رسول الله ﷺ ثم نزل فقال: رسول الله ﷺ يا جبريل! ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا؟ فقلت: ﴿وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ (مريم: ٦٤). (٢٣)

ومن كل ما سبق من ردود يتضح لنا أن قدح "بروكلمان" ومن نحأ نحوه في إثبات الوحي محمد ﷺ وعصمته فيما بلغ ، هو قدح في ديانتته وفي رسوله الذي يؤمن به، ولعل "بروكلمان" يرى كما يرى غيره من أهل ملته، أن الوحي هو حلول روح الله في روح الموحى إليه، ولأجل ذلك ألّهُوا رسولهم ، وهذا تعريف خاطئ للوحي، وقول فاسد، بل هو كفر وإلحاد، فالله لا يحل في غيره، ولا يحل فيه غيره . (٢٤)

وهكذا ترى أن ما زعموه من شبهة الوحي النفسي، اختلاق مبعثه الحقد على الإسلام والمسلمين وإرادة إبطل عصمته ﷺ فيما بلغ من الوحي، قال تعالى : ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (الصف: ٨)

ثانيا : شبهة أن الوحي عبارة عن أمراض نفسية وعقلية والرد عليها

زعم بعض المستشرقين أن النبي ﷺ كان مصاباً ببعض الأمراض العقلية النفسية التي أثرت عليه تأثيراً بالغاً ، وذهبوا إلى تحديد ذلك فقالوا : إنه كان مريضاً بالصرع ، وأن ما يعتره في ساعات الوحي ، إنما هي نوبات الصرع التي كان يسمع أثناءها كلاماً رددته فأصبح قرآناً ، ونتج من ذلك ما ادعى أنه وحى من الله .

قال "جولد تسيهر" (٢٥) : (وفي خلال النصف الأول من حياته اضطرتته مشاغله إلى الاتصال بأوساط استقى منها أفكاراً أخذ يجترها في قرارة نفسه، وهو منطو في تأملاته أثناء عزله، ولميل إدراكه وشعوره للتأملات المجردة، والتي يلمح فيها أثر حالته المرضية، نراه ينساق ضد العقلية الدينية والأخلاقية لقومه الأقربين والأبعدين). (٢٦)

فما حقيقة هذه الأمراض، وما نوعيتها؟ هذا ما نراه في إجابة بعض المستشرقين .

فقد زعم "شيرنجير" (٢٧) و"جوستاف فايل" (٢٨) وغيرهما أن محمداً كان مصاباً بحالات من الصرع يغيب فيها عن الناس وعما حوله، ويظل ملقى على أثرها بين الجبال لمدة طويلة، يسمع له على إثرها غطيط كغطيط النائم، ويتصب عرقاً، ويثقل جسمه (٢٩) وتعتره التشنجات، وتخرج منه الرغوة، فإذا أفاق ذكر أنه أوحى إليه، وتلا على أتباعه ما يزعم أنه وحى من الله ، وهو ليس وحياً وغنما هي نوبات صرع واضطرابات عصبية . (٣٠)

وبعضهم اعتبرها حالة هستيريا، وهيجاً عصبياً، يظهر عليه أثرها في مزاجه العصبي القلق، ونفسه كثيرة العواصف بشكل غامض، حتى كان يصل به الأمر أن لا يفرق بين تعاقب الليل والنهار، وقد هزل على إثرها جسمه، وشحب لونه، وخارت قواه^(٣١).

ويذهب بعضهم إلى أنه نوع من الهوس فيقول: (ويجب عدّ محمد من فصيلة المهوسين من الناحية العلمية كما هو واضح، وذلك كأكثر مؤسسي الديانات).^(٣٢)

وذهب "سيودور نولدكه"^(٣٣) إلى أن محمداً ﷺ كانت تتابه نوبات عنيفة من الانفعال جعلته يظن أنه تحت تأثير إلهي ويظن أنه يتلقى وحياً.^(٣٤)

والتأمل فيما جاء في هذه الشبهة من افتراءات يجد أنها لا تطعن في الوحي المرسل على رسول الله ﷺ فقط، بل تطعن في سلامة عقله وبدنه، وهذا ما يتنافى مع عصمته ﷺ.

ويمكن الرد على هذه الشبهة من عدة وجوه:

الأول: أن ما قاله المستشرقون في هذه الشبهة ليس أمراً جديداً، فهم يرددون ما قد سبق لمشركي مكة أن اتخذوا موقفاً مماثلاً من محمد ﷺ، كما اتخذه المعاندون من أقوام الأنبياء السابقين مواقف مشابهة، ويحكي القرآن الكريم ذلك فيقول: ﴿كَذَلِكَ مَا آتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ* أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَآغُوتٌ﴾ (الذريات: ٥٢، ٥٣) وقوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدَجِرُوا﴾ (القمر: ٩)، وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ (الحجر: ٦).

وهذا الافتراء هو نفسه ما رمت بما قرئ رسول الله ﷺ فبراه الله مما قالوا، بقوله سبحانه: ﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾ (الطور: ٢٩).

وقد تحدى الله المشركين الذين عرفوه وعاشوه وخبروا حاله أن يشبوا عليه جنوناً أو اختلال عقل، وذلك في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْطَاكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَشْتَرِئِينَ وَأَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَشْتَرِئِينَ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ (سبأ: ٤٦).

وحوا معنى هذه الآية يقول الإمام الرازي: (أن يثبت الصفة التي هي أشرف الصفات في البشر بنفي أحسن الصفات، فإنه لو قال أولاً هو رسول الله ﷺ كانوا يقولون فيه الزاع، فإذا قال ما هو مجنون لم يسعهم إنكار ذلك لعلمهم بعلو شأنه وحاله في قوة لسانه وبيانه، فإذا ساعدوا على

ذلك لزمهم المسألة ، ولهذا قال بعده إن هو إلا نذير ، يعني إما هو به جنة ، أو هو رسول ، لكن تبين أنه ليس به جنة ، فهو نذير . (٣٥)

وفي قوله تعالى : ﴿ مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ ﴾ يقول الأستاذ سيد قطب : (فما عرفتم عنه إلا العقل والتدبر والرزانة ، وما يقول شيئا يدعو إلى التظن بعقله ورشده ، إن هو إلا القول المحكم القوي المبين) . (٣٦)

ومما يلفت الأنظار هنا التعبير القرآني عنه ﷺ "بصاحبكم" للتأكيد على أن حاله معروف بينهم، بقوة العقل، ورزانة الحلم، وسداد القول والفعل .

الثاني : أن النبي ﷺ كان أصح الناس بدنا ، وأقواهم جسدا ، وأكملهم عقلاً ، وأشدهم فطنة ، وأصوبهم قولاً ، وأحكمهم فعلاً ، وأوصافه ﷺ التي تناقلها الرواة الثقات تدل على البطولة الجسمانية ، وقد بلغ من قوته أنه صارح "ركانة بن عبد يزيد" (٣٧) فصرعه ، وكان "ركانة" هذا مصارعاً ماهراً ، ما قدر أحد أن يأتي بجانبه إلى الأرض ، ولما عرض عليه النبي ﷺ الإسلام قال " صارعني ، فإن أنت غلبتني آمنت أنك رسول الله ، فتصارعا ، فصرعه النبي ﷺ ، فقيل : إنه أسلم عقب ذلك . (٣٨)

وبلغ من شجاعته ﷺ أنه كان يثبت في الميدان حتى يفر منه الشجعان ، ويفزع الخلق ، ويشتد الأمر ويقول كما حدث في غزوة حنين: ﴿أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب﴾ (٣٩) ويقول: ﴿إلى أيها الناس، هلم إلى، أنا رسول الله، أنا محمد بن عبد الله﴾ (٤٠) ولا يزال كذلك حتى ينصره الله في المعركة .

أضف إلى ذلك أن المصاب بالصرع لا يكون على هذه القوة ، وما هي شهادة الأعداء : يقول المستشرق "ر.ف.بودلي" (٤١) : إن المصاب بالصرع ، لا يفيق منه ، وقد ذخر عقله بأفكار لامعة ، وإنه لا يصاب بالصرع من كان في مثل الصحة التي يتمتع بها محمد ﷺ حتى قبل وفاته بأسبوع واحد ، وما كان الصرع ليجعل من أحد نبياً أو مشرعاً ، وما رفع الصرع أحد إلى مراكز التقدير والسلطان يوماً ، وكان من تتابه مثل هذه الحالات في الأزمنة الغابرة يعتبر مجنوناً أو به مس من الجن ، ولو كان هناك من يوصف بالعقل ورجاحته فهو محمد ﷺ ، ولا شك ، وينفي عن الرسول ﷺ تلك القرية الظالمة . (٤٢)

ويقول المستشرق "ماكس مايرهوف" (٤٣) : (أراد بعضهم أن يرى في محمد رجلاً مصاباً بمرض عصبي أو بداء الصرع، ولكن تاريخ حياته من أوله إلى آخره، ليس فيه شيء يدل على هذا، كما أن ما قام به فيما بعد من التشريع والإدارة يناقض هذا القول). (٤٤)

الثالث : أن الفرق واضحاً بين صور الوحي الذي كان يتلقاه النبي ﷺ وبين أعراض مرض الصرع الذي زعمه هؤلاء المستشرقون غير المنصفين ، ذلك أن مريض الصرع يصاب بآلام حادة في كافة أعضاء جسمه ، يحس بها إذا ما انتهت نوبة الصرع ، ويظل حزينا كاسف البال بسببها ، وكثيرا ما يحاول مرضى الصرع الانتحار من قسوة ما يعانون من آلام في النوبات ، فلو كان ما يعترى النبي ﷺ صرعا لأسف لذلك وحزن لوقوعه ، ولسعد بانقطاع هذه الحالة عنه ، ولكن الأمر بخلاف ذلك .

فحينما انقطع الوحي عن الرسول ﷺ مدة حزن لذلك حزنا شديداً ، وكان يذهب إلى غار حراء وقمم الجبال عسى أن يعثر على الملك الذي جاءه بحراء ، وبقي محزون النفس من هذه الحالة، حتى سرى عنه ربه ، بوصل ما انفصم من الوحي . (٤٥)

الرابع : أن الوحي لم يكن يأتي النبي ﷺ على هذه الحالة التي قالوا عنها إنما صرع إلا أحيانا قليلة ، وفي غالب الحالات كان يأتيه وهو في حالته الطبيعية ، ويدل على ذلك الحديث الذي رواه البخاري عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، أن الحارث بن هشام سأل رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله كيف يأتيك الوحي ؟ قال ﷺ : ﴿ أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو على أشده عليّ ، فيفصم عني ، وقد وعيت عنه ما قال ، وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول قالت عائشة رضي الله عنها : ولقد رأيته يتزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقا ﴾ (٤٦)

أضف إلى ذلك أن جبريل عليه السلام كان يأتي إلى النبي ﷺ في صورة الرجل فيحادثه أمام الحاضرين وهم يشاهدون ذلك ، كما ثبت في حديث جبريل المشهور الذي سأل فيه النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان... (٤٧) . وكما جاء في حديث ابن عمر من إتيان جبريل عليه السلام لرسول الله ﷺ في صورة الصحابي الجليل دحية الكلبي (٤٨) .

فهنا نرى فيما ورد عن رسول الله ﷺ ، أنه لا يظهر عليه شيء مما ذكر من أعراض هذا المرض عند نزول الوحي عليه، بل يظل في تمام وعيه، وكامل قوته العقلية، قبل الوحي وأثناء تعوله وبعده ، كما قال ﷺ .

ومن الثابت علمياً أن المصروع أثناء الصرع يتعطل تفكيره وإدراكه تعطلا تاما ، فلا يدري ما يقوله في نوبته شيئا عما يدور حوله ، ولا ما يجيش في نفسه ، كما أنه يغيب عن صوابه ، ولكن النبي ﷺ كان بعد الوحي يتلو على الناس آيات بينات ، وتشريعات محكمات ، وكلاما بلغ الغاية من الفصاحة والبلاغة والبيان ما تحدى به العرب وهم أهل ذلك .

لقد عاش النبي ﷺ طيلة حياته في صحة نفسية وعصبية وعقلية دائمة، لم يطرأ عليه أي خلل في عقله أو أعصابه في يوم من الأيام، بل كان ﷺ - بشهادة القرآن والسنة والتاريخ- وديعاً صبوراً حليماً ، فسيح الصدر حتى أنه ﷺ وسع الناس جميعاً بسطه وخلقه .

الخامس : أن الطب يقدم دليلا لا ينقض ، وحجة لا تحتاج إلى مناقشة على كذب فرية الصرع ، ويؤكد أن ما كان يعتري رسول الله ﷺ إنما هو وحي من الله تعالى ، ولا يمكن أن يكون شيئا آخر ، لقد ثبت أن نوبات الصرع ناتجة عن تغيرات فيولوجية عضوية في المخ ، ولقد أثبت الطب أن هناك مظاهر عديدة ومختلفة للنوبات الصرعية ، ومنها يسمى بالنوبات الصرعية النفسية، وهو يشبه ما افترى به المستشرقون على الرسول ﷺ ، وفي هذه الحالة تمر بذهن المريض ما يسمى "بالهالوس" وقد أثبت الطب أن الذكريات التي تمر بالمريض ، لا بد أن يكون قد عاشها بنفسه ، وبتطبيق ما قرره الطب في حقائق الصرع على ما افتروا به على الرسول ﷺ تجده لم يردد إلا آيات محكمات لا يمكن أن يكون قد سمعها قبل ذلك ، مما تحكي قصص الأولين ، أو تصف أحوال اليوم الآخر ، ولما كانت هذه الآيات لم تمر بالرسول ﷺ قطعا قبل ذلك ، فهي لم تحتزن في المخ لتثيرها نوبات صرعية فيتذكرها . (٤٩)

السادس : أن ما زعمه هؤلاء الطاعنين وفيهم من ينتمي إلى بعض الأديان في أنهم لا ينالون من النبي محمد ﷺ وحده ، وإنما ينالون من جميع أنبياء الله ورسله الذين كانت لهم كتب أو صحف ، أوحى بها من عند الله سبحانه .

فهل تطيب نفوس هؤلاء أن يخربوا بيوتهم قبل أن يخربوا بيوت غيرهم ؟ وما رأيهم فيما جاء في كتب العهد القديم والجديد، من إحصاءات ونبوءات ؟ وهل يقولون في وحي نبي الله موسى

وعيسى عليهما السلام ما يقولون في وحي خاتم الأنبياء نبينا محمد ﷺ؟ اللهم إنه الظعن الذي لا يصدر إلا من رجل ماذي مخزف ومخزب ومدقر يريد هدم الأديان .

إن الرسول ﷺ ليس يبدع من الرسل في باب الوحي ، إنه أوحى إليه كما أوحى إليهم، وصدق الحق تبارك وتعالى حيث يقول : ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴾ (النساء: ١٦٣). (٥٠)

والنتيجة التي نصل إليها مما سبق: أنه ليس هناك أدنى شبهة في إصابته ﷺ بالصرع ، لأن كل من يعرف أعراض هذا المرض، وما له من آثار في شخصية المصاب ، ويعرف سيرة النبي ﷺ يستطيع أن يقول : إن هذا لزعم باطل ، وافتراء كاذب لا يستحق أن يأخذه المرء مأخذ الجد ، بل إن المرضى الحقيقيين هم المعرضون الذين يريدون النيل من النبي ﷺ ، وليس لهم مأرب إلا القدرح في عصمته ﷺ. ياثارة الشبهات ، فلا النبي محمد ﷺ ولا أحد من الأنبياء قبله أصيب بمثل هذه الأمراض التي تتنافى مع العصمة التي الواجبة للأنبياء .

ثالثاً : شبهة أن الوحي مقتبس من اليهودية والنصرانية والرد عليها

زعم كثير من المستشرقين أن الوحي عبارة عن تعاليم دينية انبثقت من اليهودية والنصرانية ، وغالبها عن طريق "ورقة بن نوفل" (٥١) ، و"بجيرا" (٥٢) ، و"نسطورا" (٥٣) ، وأن محمداً ﷺ قد تبتى هذه التعاليم ، وكيّفها تكيّفًا بارعاً وفقاً لمطالبات شعبه الدينية .

فذهب "إميل در منغام" (٥٤) إلى أن محمداً التقى بورقة بن نوفل وأخذ عنه أصول دينه. (٥٥)

وذهب "جولد تسيهر" إلى القول بأن : (تبشير النبي العربي ليس إلا مزيجاً منتخِباً من معارف وآراء دينية ، عرفها أو استقاها بسبب اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية وغيرها، التي تأثر بها تأثراً عميقاً.... لقد تأثر بهذه الأفكار تأثراً وصل إلى أعماق نفسه ، وأدركها بإيجاء قوة التأثيرات الخارجية ، فصارت عقيدة انطوى عليها قلبه ، كما صار يعتبر هذه التعاليم وحيًا إلهياً، فأصبح بإخلاص على يقين بأنه أداة لهذا الوحي..). (٥٦)

ويقول أيضا : (صار رهبان المسيحيين ، وأحبار اليهود موضع مهاجمة منه - يقصد النبي

ﷺ - وقد كانوا في الواقع أساتذة له). (٥٧)

وكذلك يقول: (النحلة البارسية الزرادشتية ، التي لاحظ الرسول وجود أنصار لها باسم الجوس إلى جانب اليهود والمسيحيين ، لم تمر دون أن تترك أثرا في شعور النبي العربي ، فقد قابلها بالوثنية ، وبالدين الموسوي والدين المسيحي أيضا ، وقد اتخذ عن البارسية تعليما هاما ، وهو إنكار يوم السبت على أنه يوم ارتاح الله فيه من العمل ، فصار راحة عامة ، وجعل يوم الجمعة هو يوم الاجتماع الأسبوعي ...) . (٥٨)

ويقول "مونتجمري وات" (٥٩) : (..ومن الأسهل أن نفترض أن محمدا كان على صلة متتابعة بورقة بن نوفل منذ فترة مبكرة سابقة على الوحي ، والأفكار الأساسية اللاحقة قد تكون اختلطت إلى حد كبير بأفكار ورقة ..) . (٦٠)

وكذلك أيضا : (لم يكن غريبا أن يلجأ محمد ﷺ لفهم ما يحدث له أثناء تجربة الوحي الأولى لأشخاص مثل ورقة بن نوفل الذي كان لديه علم قليل عن الوحي في التراثين اليهودي والمسيحيوقد تكون معلومات هؤلاء الأشخاص الذين لجأ لهم محمد ﷺ بسيطة وغامضة ، لكنها أسهمت في فهمه لمهمته الخاصة..) . (٦١)

ويقول "واشنطن إرفنج" (٦٢) : (ينسب الكثيرون معلومات محمد عن الدين المسيحي إلى محادثاته مع ذلك الراهب - يقصد بحيرى - ، وقد لعبت هذه المعلومات دورا كبيرا في حياة محمد فيما بعد) . (٦٣)

ويقول أيضا : (عاد محمد إلى مكة ، وقد تأثر خياله بالقصص والروايات التي سمعها في الصحراء ، وبأحاديث ذلك الراهب النسطوري ..) . (٦٤)

ويقول أيضا : (ويرجع له الفضل - يقصد ورقة- في ترجمة بعض أجزاء الكتب السماوية إلى اللغة العربية ، ولاشك أن محمدا قد اطلع عليها واستفاد مما جاء فيها) . (٦٥)

ويقول "ريتشارد بل" (٦٦) : (الجانب الأكبر من المادة التي استعملها محمد ليفسر تعاليمه ويدعمها قد استمدته من مصادر يهودية ونصرانية ، وقد كانت فرصته في المدينة للتعرف على ما في العهد القديم أفضل من وضعه السابق في مكة ، حيث كان على اتصال بالجاليات اليهودية في المدينة وعن طريقها حصل على قسط غير قليل من المعرفة بكتب موسى على الأقل) . (٦٧)

ويقول "بروكلمان" : (وتأثرت اتجاهات النبي الدينية في الأيام الأولى من مقامه في المدينة، بالصلة التي كانت بينه وبين اليهود...) . (٦٨)

فانظر في هذه الأقوال لترى ما زعمه أصحابها من القول بأن النبي ﷺ قد تتلمذ على رهبان
النصارى مثل ورقة بن نوفل، وبحيرا، وأخبار اليهود الذين كانوا أساتذة له .

لكن كيف تم اتصال النبي ﷺ هؤلاء ؟

يرى "بروكلمان" أن ذلك تم من خلال رحلاته، والذين عاشوا معه بعد إسلامهم^(٦٩).
ويمكن الرد على هذه الشبهة بما يلي :

أولاً : التأمّل في هذه الشبهة يرى أن هذا بعينه هو ما رده جهال قريش من قبل حين قالوا
كما حكاه القرآن : ﴿وَلَقَدْ نَعَلِمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ
وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ (النحل: ١٠٣)

ثانياً : لم يبين هؤلاء المستشرقون لنا أين كانت هذه الرحلات التي والتي التقى فيها النبي ﷺ
بأخبار اليهود، ورهبان النصارى، ومتى كانت؟ وكم مدة قضاها النبي ﷺ ليتلقى تلك الدروس
حتى يستطيع أن يستوعبها؟

إن ما زعمه هؤلاء من أن النبي ﷺ أخذ عن بحيرا ونسطورا، زعم باطل، لأن الثابت
تاريخياً أن النبي ﷺ لم يلق "بحيراً" إلا مرة واحدة، حينما سافر إلى الشام، وكان معه عمه أبي طالب
، وكان عمره ﷺ حينئذ لا يتعدى اثنا عشرة سنة^(٧٠) ولا يعقل أن يكون النبي ﷺ قد أخذ عنه
شيئا وهو في هذه السن، وما ذكره "بحيرا" لأبي طالب حينما رأى النبي ﷺ تظله سحابة من
الشمس، ورأى فيه بعض أمارات النبوة، أن هذا الغلام سيكون له شأن عظيم، فارجع به إلى
بلده واحذر عليه من اليهود^(٧١).

إن تلك الروايات التاريخية التي تتحدث عن لقاء محمد ﷺ وبحيرا ونسطورا تحيل أن يقف
كل منهما موقف المعلم المرشد محمد ﷺ، لأن في لقاء بحيرى بعمه قد بشره بالنبوة، وفي لقاء
نسطورا بميسره قال له يا ميسره : ما نزل تحت هذه الشجرة إلا نبي، يا ميسره : في عينه حمرة ؟
قال له نعم لا تفارقه، قال الراهب : هو آخر الأنبياء، فليس بمعقول أن يؤمن رجل بهذه البشارة
التي يزفها، ثم ينصب نفسه أستاذاً لصاحبها الذي سيأخذ عن الله، ويتلقى عن جبريل، ويكون هو
هادى الهداة المرشدين ! وإلا كان كل الراهبين متناقضاً مع نفسه !

إن هذه التهمة لو كان لها نصيب من الصحة، لفرح بها قومه، لأنهم كانوا أعرف الناس
برسول الله ﷺ، وكانوا أحرص الناس على تبهيته وتكذيبه وإحباط دعوته بأية وسيلة^(٧٢).

ثالثاً : إن ما زعمه هؤلاء من أن النبي ﷺ كان يلتقي بورقة بن نوفل ، فيأخذ عنه ويسمع منه ، ثم يزعم بعد ذلك أنه أوحى إليه ، هو أيضاً زعم باطل ، لأن الرواية الصحيحة التي تثبت أن خديجة رضي الله عنها ذهبت به ﷺ حين بدأه الوحي إلى ورقة تقول : (فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن عم خديجة ، وكان امرأ تنصر في الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب ، وكان شيخا كبيرا قد عمى ، فقالت له خديجة : يا بن عم اسمع من بن أخيك ، فقال له ورقة يا بن أخي ماذا ترى ، فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى ، فقال له ورقة : هذا الناموس الذي نزله الله على موسى ، يا ليتني فيها جذع ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك ، فقال رسول الله ﷺ : "أو مخرجي هم" ؟ قال نعم ، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي ، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرا ، ثم لم ينشب ورقة أن توفي ، وفتر الوحي) . (٧٣)

وفي هذه الرواية ما يبين بطلان مزاعم المستشرقين ، وذلك لما يأتي :

أ - أنه لم يثبت أن النبي ﷺ قد لقي ورقة قبل هذا اللقاء أو رآه .

ب - إن هذا اللقاء قد تم بعد مجيء الوحي إلى النبي ﷺ في الغار ، ونزول صدر سورة "اقرأ" وقد حضرته خديجة رضي الله عنها ، وقد آمنت بنبوة محمد ﷺ بعد ذلك ، فلو كان حدث تعلم وتلقي في هذا اللقاء ، ما غاب ذلك عن بالها أبداً .

ج - إن موقف ورقة هنا كان موقف المبشر ، لا موقف المعلم .

د - لم تذكر الروايات أن ورقة ألقى إلى النبي ﷺ عظة أو درساً في أمر من أمور العقيدة أو الشريعة ، وكذلك لم تذكر الروايات أن النبي ﷺ كان يتردد إليه حتى يستفيد منه .

هـ - إن ورقة لم يلبث أن توفي بعد هذا اللقاء ، فكيف يمكن أن يكون هذا اللقاء الخاطف

بشابة المعلم للنبي ﷺ ؟

رابعاً : ما زعمه هؤلاء من أن النبي ﷺ تلقى الوحي من علماء أهل الكتاب في عصره ما هو إلا افتراء محض ، ذلك أن النبي ﷺ لم يكن عنده علم بمذاهب أهل الكتاب وعقائدهم قبل النبوة ، ولو أن النبي ﷺ أخذ عن هؤلاء ، واستفاد منهم كما زعموا لردوا عليه حينما عرض في صراحة لبطلان عقائدهم ، وفساد مذاهبهم ، قاتلين له نحن الذين علمناك ، فكيف تجحد فضلنا ، وتطعن في ديننا ؟ (٧٤)

والتأمل في محاورات القرآن الكريم وردوده على أهل الكتاب ، يستطيع أن يصل إلى نتيجة حتمية مؤداها : أنه لا يعقل أن يفهم القرآن بذلك ، وهم بمثابة المرشد والمعلم للنبي ﷺ ، قال تعالى : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ (التوبة: ٣٠)

خامساً : مما يدل على دحض هذه الشبهة وأن الوحي لم يكن مقتبساً من اليهودية أو النصرانية ، مخالفة اليهود والنصارى في كثير من العقائد والأحكام ، وهذا يدل عليه أحاديث كثيرة، نذكر أمثلة منها ، كقوله ﷺ : ﴿ إن اليهود والنصارى لا يصغون فخالفوهم ﴾ . (٧٥) وقوله ﷺ : ﴿ خالفوا اليهود فإنهم لا يصلون في نعالهم ولا خفافهم ﴾ . (٧٦)

وكذلك الحديث الذي رواه أنس بن مالك رضي الله عنه ، أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم ، لم يأكلوها ، ولم يجامعهن في البيوت ، فسأل الصحابة النبي ﷺ فأنزل الله تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أذى فَأَعْتَرُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ (البقرة: ٢٢٢) فقال رسول الله ﷺ : (اصنعوا كل شئ إلا النكاح) فبلغ ذلك اليهود فقالوا : "ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئاً إلا خالفنا فيه". (٧٧) وفي هذا يقول ابن تيمية (٧٨) : (فهذا الحديث يدل على كثرة ما شرعه الله لنبيه من مخالفة اليهود، بل على أنه خالفهم في عامة أمورهم ، حتى قالوا : ما يريد أن يدع من أمرنا شيئاً إلا خالفنا فيه). (٧٩)

سادساً : ما زعموه من إرجاع كثير من شعائر الإسلام إلى اليهودية أو النصرانية، أو الاثنين معاً، زعم باطل ، لأن استدلالهم بصوم عاشوراء على موافقة اليهود فيه، فقد ثبت أن النبي ﷺ ، كان يصوم عاشوراء في الجاهلية قبل قدومه المدينة، فعن عائشة رضي الله عنها قالت : (كان يوم عاشوراء تصومه قريش في الجاهلية، وكان رسول الله ﷺ يصومه، فلما قدم المدينة، صامه وأمر بصيامه، فلما فرض رمضان ترك يوم عاشوراء، فمن شاء صامه، ومن شاء تركه) (٨٠)، وفي رواية : (وكان يوم تستر فيه الكعبة) .

وكذلك فإن النبي ﷺ قد بين نوع المخالفة عندما شرع صيام يوم قبله، أو بعده، فحينما صام النبي ﷺ يوم عاشوراء ، وأمر بصيامه، قالوا : يا رسول الله إنه يوم تعظمه اليهود

والنصارى، فقال ﷺ : ﴿إِذَا كَانَ الْعَامُ الْمُقْبِلَ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، صَمْنَا الْيَوْمَ التَّاسِعَ﴾ فلم يأت العام المقبل ، حتى توفي رسول الله ﷺ . (٨١)

وهذا يتضح أن وحى الله تعالى إلى النبي محمد ﷺ ، لم يكن مأخوذاً من اليهودية أو النصرانية، ولم يتأثر بغيره ، وذا ما وجد بين ما جاء به محمد ﷺ وبين ما في شريعة اليهود أو النصارى ، فإن هذا ليدل على أن الدين الإلهي أصله واحد ، قال تعالى : ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ (الشورى: ١٣)

رابعا : شبهة الغرائق^(٨٢) والرد عليها

تشبث بعض المستشرقين بقصة "الغرائق" وقد اعتبروا أنها من أكثر الموضوعات التي أثارت جدلا في الفكر والتاريخ الإسلامي ، ومن أكثر الإشكالات التي مازالت تخرج المؤسسات الدينية الإسلامية ، وألصقوها بمجرة الحبشة، وجعلوها سبباً لعودة المهاجرين الأولين إلى مكة ، وقد اتخذ هؤلاء منها سلاحاً للطعن في عصمة رسول الله ﷺ ، من تسلط الشيطان عليه، وعصمته في بلاغه لوحى الله تعالى.

ورغم أن هذه القصة قد بين علماء المسلمين قديماً وحديثاً زيفها وبطلانها، إلا أن ما يزال يوجد من ينتصر لها من المستشرقين والمبشرين.

يقول "مونتجمري وات" : (... نجد على الأقل حقيقتين مؤكدتين ، أولاهما : أنه حدث ذات مرة أن قرأ محمد ﷺ هذه الآيات الشيطانية علنا باعتبارها جزءا من القرآن ... وثانيهما : أنه من المؤكد أن محمدا ﷺ قد أعلن بعد ذلك أن هذه الآيات الشيطانية ليست من القرآن الكريم ، وأن آيات أخرى قد حلت محلها تحمل مضمونا مختلفا تماما ...) . (٨٣)

ويقول أيضا : (... من الضروري أن نجد أية مناسبة خاصة لهذه الآيات الشيطانية-الغرائق- ولكنها قد تكون مجرد تعبير عن وجهات نظر طالما اعتقدها محمد ﷺ ... أليس ذكره هذه الأوثان دليلا على أن رؤيته قد اتسعت ، أي أن نظره بدأ يتجه لأبعد من دعوة قريش؟) . (٨٤)

ويقول نيازي عز الدين^(٨٥) : (بعد نزول الآية : ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ﴾ (النجم: ١٩) ألقى الشيطان نتيجة لتمنى الرسول ﷺ ، ألا يزل الله تعالى ما يغضب قومه من قريش، لأنه كان

يطمع بإسلام بعض وجهائهم، فالقى الشيطان في أمنية الرسول وفي ذهنه بعض الكلمات، فاعتقد أنها من الوحي، فطلب من كتبة الوحي تسجيله وكتابته في نص القرآن الكريم، وكانت كما يلي :
 "أفرايتم اللات والعزى، تلك الغرائق العلى، وإن شفاعتهن لترجى" فسر القرشيون من المشركين بذلك، وسجدوا مع الرسول في الصلاة، ولكن بعد فترة نزل جبريل، وعاتب الرسول، وصحح الآية، ناسخاً ما ألقى الشيطان. (٨٦)

وفي حديثه عن قوله تعالى : ﴿وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أَنْزَلْتِ إِلَيْكَ وَأَذَعُ إِلَى رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ* وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (القصص: ٨٧ - ٨٨) يقول : فمن معاني الآيات ... يتبين أن الله تعالى يكلم الرسول مرة أخرى عن قصة الغرائق، وأن شفاعتهن لترجى، ويوضح له كيف ألقاها الشيطان إلى لسانه، فأدخلها الرسول خطأ في القرآن، إلى أن أتى جبريل، ونبهه على الموضوع، فنسخ تلك الآيات وأتى بدلاً عنها بخير منها: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ وَمِنَ النَّائِلَاتِ الْأُخْرَىٰ* أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ﴾ (النجم: ١٩ - ٢١) ، وبين الله تعالى أسباب ذلك في الآية : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (الحج: ٥٢) . (٨٧)
 وللدرد على هذه الشبهة نقول :

أولاً : إن هذه القصة المختلقة تتنافى مع العصمة التي تعني الحفظ من الله تعالى لأنبيائه ورسوله من الوقوع في الذنوب والمعاصي ، وارتكاب المنكرات والحرمات ، وبالتالي فهي تعني ميزة الرسل في هذا الجانب عن سائر البشر ، ولا يتناقض هذا مع قوله تعالى : ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ (الكهف: من الآية ١١٠، وفصلت من الآية ٦) وذلك لأنها تابعة لخاصة الوحي إلى النبي ، لأنها وجبت له من منطلق أنه نبي يوحى إليه ، فهي إذن من متعلقات يوحى إلي أو من لوازمها ، وحفظهم ممن أن تقع منهم مخالفة لأمر الله تعالى ، ومن جهة أخرى فالعصمة أمر لازم لسلامة القدوة بهم التي هي أمر إلهي .

يقول الشيخ رشيد رضا : (إذا كان إرسال الأنبياء إلى البشر لأجل هدايتهم إلى ترقية أنفسهم بما تصلح به أحوالهم في دنياهم ، ويستعدون به لحياة أعلى من هذه الحياة الدنيا في نشأة أخرى ، فلا يتم هذا الغرض ولا تتحقق هذه الحكمة إلا إذا كان هؤلاء الأنبياء أهلاً لأن يقتدى

هم في أعمالهم وسيرتهم ، والتزام الشرائع والآداب التي يبلغونها عن ربهم ، ومن ثم قال علماؤنا
بوجوب عصمة الأنبياء من المعاصي والردائل ، وبالغ بعضهم فيها حتى قالوا بعصمتهم من الذنوب
الصغائر كالكبائر قبل النبوة وبعدها ، وخص بعضهم العصمة من الصغائر بما كان باعثة الحسة
والدناءة) . (٨٨)

ثانياً : بطلان هذه القصة من جهة النقل ومن جهة العقل .

أما من جهة النقل :

١ - فإن هذه القصة مخالفة للقرآن الكريم ، وذلك لما يأتي :

أ - قال تعالى : ﴿ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تَلَقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَيْعَ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ ﴾
(يونس: من الآية ١٥)، وقال تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ (النجم: ٣، ٤)،
وقال تعالى : ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ (الحاقة:
٤٤ - ٤٦) ، وقال تعالى : ﴿كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ (الفرقان: من الآية ٣٢) ،
وقال تعالى : ﴿سُقِّرْتُكَ فَلَا تَنْسَى﴾ (الأعلى: ٦) .

فأنت ترى معي أن في سياق هذه الآيات ما يدل على أن الرسول ﷺ لم يأت بأي كلام من
عنده ، كما تؤكد الآيات على عصمته ﷺ في تبليغ وحى الله ، وأن كلامه لا يخرج عن الحق .

ب - قوله تعالى : ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ * أَلَكُمُ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ *
تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ * إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَتْمًا وَأَبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ
يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَىٰ﴾ (النجم: ١٩-٢٣)

فقد جاءت الآيات بهذا الأسلوب الإنكاري ، التوبيخي ، التهكمي بالأصنام وعابديها ، ولو
أن القصة صحيحة لما كان هناك تناسب بين هذه الآيات وبين ما قبلها ، وما بعدها ، ولكان النظم
مفككا والكلام متناقضا ، وكيف يطمئن السامعون إلى مثل هذا التناقض ، وهم أهل اللسان من
الفصاحة والبلاغة والبيان ، بل إنه لا يخفى عليهم مثل هذا ، لا سيما وأن أعداءه يتلمسون له
العثرات والزلات ، فلو أن ما روي كان واقعا لثارت ثائرة مكة ، ولاتخذ منه اليهود بعد الهجرة
متكأ يستندون إليه في الطعن والتشكيك في عصمته ﷺ ، ولكن مثل هذا لم يحدث . (٨٩)

ج - قوله تعالى : ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ (الحجر:
٤٢) ، وقوله تعالى : ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (النحل: ٩٩) .

ففي هاتين الآيتين دليل على أن الشيطان ليس له سلطان إلا على من اتبعه من الغاوين ، وإنه لا يستطيع أن يفرض سلطانه على الذين آمنوا وعلى المتوكلين على الله ، وهل هناك بشر أصدق إيمانا وأشد توكلا على الله تعالى من الأنبياء ولا سيما خاتمهم ﷺ ، وقد أقر زعيم الشياطين بأنه ليس له سلطان على عباد الله المخلصين ، كما قال تعالى : ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغَوِّيَهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾ (ص: ٨٢، ٨٣)

ومن أحق من الأنبياء بالاصطفاء؟ ومن أشد إخلاصا منهم ، وعلى رأس المصطفين الأخيار محمد ﷺ ، ومن ثم فإن ما زعمه هؤلاء في هذه القصة إن هو إلا افتراء محض .

٢ - إن هذه القصة مخالفة للسنة النبوية فقد طعن فيها كثيرون من الحدّثين ومن المحققين الذين جمعوا بين المعقول والمنقول ومن هؤلاء :

أ - القاضي عياض حيث يقول : (إن هذا الحديث لم يخرج أحد من أهل الصحة، ولا رواه ثقة بسند سليم متصل، وإنما أولع به وبمثله المفسرون والمؤرخون، المولعون بكل غريب، المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم... ومن حكيت هذه الحكاية عنه من المفسرين التابعين لم يسندوها أحد منهم ولا رفعها إلى صاحب، وأكثر الطرق عنهم فيها، ضعيفة واهية، والمرفوع فيه حديث... ابن عباس). (٩٠)

ويستشهد القاضي عياض على أن القصة ضعيفة ومنها مضطرب بقول القاضي بكر بن العلاء المالكي - : (لقد بلى الناس ببعض أهل الأهواء والتفسير، وتعلق بذلك الملحدون، مع ضعف نقلته واضطراب رواياته، وانقطاع إسناده، واختلاف كلماته : فقاتل يقول إنه في الصلاة، وآخر يقول : قالها في نادى قومه، حيث أنزلت عليه السورة، وآخر يقول : قالها وقد أصابته سنة، وآخر يقول : بل حدث نفسه فسها، وآخر يقول : إن الشيطان قالها على لسانه، وأن النبي ﷺ لما عرضها على جبريل، قال : ما هكذا أقرأتكم، وآخر يقول : بل أعلمهم الشيطان أن النبي ﷺ قرأها، فلما بلغ النبي ﷺ ذلك قال: والله ما هكذا نزلت، إلى غير ذلك من اختلاف الرواة). (٩١)

ب - وقال الإمام ابن حزم : (وأما الحديث الذي فيه "وإن الغرائق العلاء، وإن شفاعتهن لترجي" فكذب بحت موضوع، لأنه لم يصح قط من طريق النقل، ولا معنى للاشتغال به، إذ وضع الكذب لا يعجز عنه أحد). (٩٢)

ج - وقال الإمام الرازي : (أهل التحقيق قالوا : هذه الرواية باطلة موضوعة) .

وقد ذكر الإمام الرازي أن الحافظ ابن خزيمة لما سئل عن هذه القصة فقال : هذا وضع من الزنادقة، وصنف فيه كتاباً، كما ذكر الإمام الرازي أيضاً قول الإمام البيهقي : هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل، وأن رواية هذه القصة مطعون فيهم . (٩٣)

د - وقال الإمام ابن كثير : (قد ذكر كثير من المفسرين ههنا قصة الغرائيق ، وما كان من رجوع كثير من المهاجرة إلى أرض الحبشة ظنا منهم أن مشركي قريش قد أسلموا ، ولكنها من طرق كلها مرسله ، ولم أرها مسندة من وجه صحيح ، والله أعلم) . (٩٤)

هـ - وقال الشيخ محمد الصادق عرجون بعد تفنيده للروايات التي ذكرها الإمام السيوطي ورده عليها : (ليس في روايات فرية الغرائيق ، رواية قط متصلة الإسناد على وجه الصحة ، ولم يذكر في جميع الروايات صحابي قط على وجه موثق ، وما ذكر فيه باسم ابن عباس ، فكلها ضعيفة واهية خلا رواية سعيد بن جبير على الشك في إسنادها ... والشك يوهيها) . (٩٥)

وأما من جهة العقل فإنه قد قام الدليل العقلي على بطلان القصة وذلك لما يأتي :

أ - إن من جوز على الرسول ﷺ تعظيم الأوثان فقد كفر ، لأن من المعلوم بالضرورة أن أعظم سعيه كان في نفي الأوثان .

ب - أنه ﷺ ما كان يمكنه في أول الأمر أن يصلي ، ويقرأ عند الكعبة آمنة أذى المشركين له حتى كانوا ربما مدّوا أيديهم إليه ، وإنما كان يصلي إذا لم يحضروها ليلاً أو في أوقات خلوة ، وهذا يبطل قولهم .

ج - أن معاداتهم للرسول ﷺ كانت أعظم من أن يقرّوا بهذا القدر من القرآن دون أن يقفوا على حقيقة الأمر ، فكيف أجمعوا على أنه عظم آلتهم حتى خرّوا سجداً ، مع أنه لم يظهر عندهم موافقته لهم .

د - إن إحكام الآيات بإزالة ما يلقيه الشيطان عن الرسول ﷺ ، أقوى من نسخه بهذه الآيات التي تبقى الشبهة معها ، فإذا أراد الله تعالى إحكام الآيات لنلا يلتبس ما ليس بقرآن مع ما هو قرآن ، فمنعه الشيطان من ذلك أصلاً أولى .

هـ - إنه لو جوزنا مثل وقوع هذه القصة ، لارتفع الأمان عن شرعه تعالى ، ولجوزنا في كل واحد من الأحكام والشرائع أن يكون كذلك ، ويبطل قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا

أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغَتْ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ (المائدة: من الآية ٦٧)
(، وهذا غير جائز ، بل هو ممتنع أصلاً . (٩٦)

ثالثاً : مخالفة القصة لحقائق تاريخ السيرة العطرة ، ذلك أن سورة النجم تتحدث عن المعراج ، والمعراج كان بعد السنة العاشرة من البعثة باتفاق ، أما قصة الغرانيق فإن رواياتها تبين أنها كانت في السنة الخامسة للبعثة ، إبان الهجرة الأولى للحبيشة ، في رمضان منها ، وهذا ما يؤكد بطلان تلك المرويات ، ويحقق وضعها على رسول الله ﷺ .

رابعاً : إن قصة الغرانيق لم يخرجها أحد من أصحاب الصحاح ، ولا أحد من أصحاب الكتب المعتمدة كالسنن الأربعة ، ومسنند الإمام أحمد ، والذي رواه البخاري في صحيحه عن ابن عباس : (سجد النبي ﷺ بالنجم وسجد معه المسلمون والمشركون ، والجن ، والإنس) . (٩٧)

وفي رواية عن ابن مسعود قال : (أول سورة أنزلت فيها سجدة "والنجم" قال : فسجد رسول الله ﷺ ، وسجد من خلفه ، إلا رجلاً رأيته أخذ كفاً من تراب فسجد عليه ، فرأيته بعد ذلك قتل كافراً ، وهو أمية بن خلف) . (٩٨)

فهنا نرى أن الإمام البخاري قد اقتصر على الجزء الصحيح ، وليس فيه قصة الغرانيق .
لكن هنا تساؤل : كيف سجد المشركون وهم يمارون في الوحي والقرآن ، وهم يجادلون في الله والرسول ، وقد رفضوا السجود لله ؟ كما قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴾ (الفرقان: ٦٠)
والجواب : إن سجد أهل الشرك كان لما سمعوه من أسرار البلاغة الفارقة ، والفصاحة البالغة ، وعيون الكلم ، الجوامع لأنواع من الوعيد والإنكار ، والتهديد والإنذار ، وقد كان العربي يسمع القرآن فيخر له ساجداً . (٩٩)

وفي ذلك يقول الأستاذ سيد قطب : (إن حادث السجود صحيح ، وإن تعليقه قريب ، إنه كامن في ذلك السلطان العجيب لهذا القرآن ، وهذه الإيقاعات المنزلّة في سياق هذه السورة... إن الذي كان يقرأ هو محمد ﷺ النبي الذي تلقى هذا القرآن مباشرة من مصدره ، وعاشه وعاش به ، وأحبه حتى لكان يتثقل خطاه إذا سمع من يرتله داخل داره ، ويقف إلى جانب الباب يسمع له حتى ينتهي ! وفي هذه السورة بالذات كان يعيش لحظات عاشها في الملأ الأعلى ، وعاشها مع الروح الأمين ، وهو يراه على صورته الأولى

إن أولئك المشركين لم تكن قلوبهم ناجية من الرعدة والرجفة، وهم يستمعون إلى محمد ﷺ
إنما كان العناد المصطنع هو الذى يحول بينهم وبين الإذعان

ومثل هؤلاء إذا استمعوا إلى سورة النجم من رسول الله ﷺ فأقرب ما يحتمل أن تصادف
قلوبهم لحظة الاستجابة التى لا يملكون أنفسهم إزاءها، وأن يأخذوا بسلطان هذا القرآن؛ فيسجدوا
مع الساجدين بلا غرائق ولا غيرها من روايات المقتربين. (١٠٠)

خامساً : يجب التنويه إلى أن بعض المفسرين والمحدثين الذين ذكروا قصة الغرائق فى كتبهم،
وقرروا قبول سندها ، ذكروها مع ردهم لما جاء فيها من مدح الأصنام وتأويلهم لها .

فقد قال الإمام ابن حجر العسقلاني - بعد تصريحه القاطع فى الحكم على روايات القصة بأنها
ضعيفة واهية- : (لكن كثرة الطرق تدل على أن للقصة أصلاً، مع أن لها طريقين آخرين مرسلين
رجاهما على شرط الصحيحين، أحدهما : ما أخرجه الطبري عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن
الحارث بن هشام ، والثاني : ما أخرجه أيضا عن أبي العالية). (١٠١)

لكن وجدناه بعد ذلك يقول : (فإن الطرق إذا كثرت وتباينت مخارجها دل ذلك على أن لها
أصلاً، وقد ذكرت أن ثلاثة أسانيد منها على شرط الصحيح، وهى مراسيل يحتج بمثلها من يحتج
بالمرسل، وكذا من لا يحتج به لاعتضاد بعضها ببعض، وإذا تقرر ذلك تعين تأويل ما وقع فيها مما
يستكر، وهو قوله : " ألقى الشيطان على لسانه : تلك الغرائق العلاء، وإن شفاعتهن لترجى " فإن
ذلك لا يجوز حمله على ظاهره لأنه يستحيل عليه ﷺ أن يزيد فى القرآن عمداً ما ليس منه، وكذا
سهواً، إذا كان مغايراً لما جاء به من التوحيد لمكان عصمته). (١٠٢)

فهل يا ترى يمكن الاحتجاج بالحديث المرسل ؟ (١٠٣)

أ - إن جمهور المحدثين لم يحتجوا بالمرسل، وجعلوه من قسم الضعيف لاحتمال الخدوف غير
صحابي ، وحينئذ يحتمل أن يكون ثقة أو غير ثقة ، وعلى ذلك فلا يؤمن أن يكون كذاباً .

ب - ذهب الإمام مسلم إلى أن : (المرسل من الروايات فى أصل قولنا وقول أهل العلم
بالأخبار ليس بحجة). (١٠٤)

ج - ذهب الإمام الشافعي والمحدثين أو جمهورهم وجماعة من الفقهاء أنه لا يحتج بالمرسل ،
ومذهب مالك وأبي حنيفة وأحمد وأكثر الفقهاء أنه يحتج به ، ومذهب الشافعي أنه إذا انضم إلى
المرسل ما يعضده احتج به . (١٠٥)

د - قال ابن الصلاح : اعلم أن حكم المرسل حكم الحديث الضعيف، إلا أن يصح مخرجه من وجه آخر، وما ذكرناه من سقوط الاحتجاج بالمرسل، والحكم بضعفه هو المذهب الذي استقر عليه آراء جماهير حفاظ الحديث ، ونقاد الأثر. (١٠٦)

هـ - الاحتجاج بالمرسل - إذا وجد ما يعضده - إنما هو في فروع الدين التي يكفى فيها بالظن ، أما الاحتجاج به على شيء يصادم العقيدة ، وينافي دليل العصمة فغير مسلم ، وقد قال علماء التوحيد : إن خبر الواحد لو كان صحيحا لا يؤخذ به في العقائد ، لأنه لا يكفى فيها إلا بما يفيد اليقين ، فما بالك بالضعيف أو المختلف فيه . (١٠٧)

و بعد هذا يمكن أن يقال : إن نسج القصة مهما تأوّل فيه المتأولون وحاولوا إثبات أن لها أصلا مهلهل متداع ، لا يثبت أمام البحث ، وإن أغلب البلاء دخل على الإسلام من المنقطعات والمراسيل ، وهذا كله يدعوننا إلى القول بأن قصة الغرائق مكذوبة ، اختلقها الذين يريدون إفساد الدين ، عن طريق الطعن في الوحي ، والطعن في عصمة سيد الأنبياء وإمام المخلصين ﷺ .

والخاتمة

من كل ما سبق يتبين لنا أن الوحي حقيقة مؤكدة ، رضي المستشرقون أم أبوا، والمتأمل في هذه الشبه يرى أن أصحابها قد أسرفوا في النشاط لكيد الإسلام وطمس حقيقة من حقائقه المتمثلة في الوحي ، يلاحظ مدى تحيّر أصحابها ، وترددهم واضطرابهم، في تحديد المصدر الذي صدر عنه الوحي إلى رسول الله ﷺ فمرة يقولون كذا، ومرة يقولون كذا، كما اتضح من الشبه السابقة، ولا ريب أن دحض مثل هذه الشبهات نوع من الجهاد الذي يجب على كل قادر عليه أن يقوم به، وإن شئت أن تطلع على هذه الصورة المضحكة من هذه البلبلة الجدلية التي أثارها هؤلاء ، فاقرا وصفها في قوله تعالى : ﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ﴾ (الأنبياء: من الآية ٥) فهذا يصور لك مقدار ما أصابهم من الاضطراب في رأيهم ، ويريك صورة شاهد الزور إذا شعر بمرج موقفه ، كيف يتقلب ذات اليمين وذات الشمال ، وكيف تفرق به السبل في تصحيح ما يحاويله من محال ، وصدق الله إذ يقول : ﴿انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ (الإسراء: ٤٨، الفرقان: ٩) .

وإذا كان المستشرقون يتحيرون ويضطربون في تحديد مصدر الوحي، فإنهم بذلك يتحيرون ويتناقضون ، ويطعنون في نبوة سيدنا رسول الله ﷺ .

ثبت المراجع

أولاً : القرآن الكريم .

ثانياً : كتب السنة .

ثالثاً باقي المراجع مرتبة على حسب حروف المعجم ، وهي كالتالي :

- ١ . آراء المستشرقين حول القرآن وتفسيره د/عمر إبراهيم رضوان ط أولى ١٩٩٢م دار طيبة بالسعودية.
- ٢ . الاستشراق دراسة تحليلية تقويمية، د/محمد عبد الله الشرقاوي، ط دار الفكر العربي بالقاهرة.
- ٣ . الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري ، د/محمود حمدي زقزوق ط دار المعارف بالقاهرة .
- ٤ . الإسلام في تصورات الغرب ، د/ محمود حمدي زقزوق ط ١٩٨٧م مكتبة وهبة بالقاهرة.
- ٥ . الإسلام والرسول في نظر منصفى الشرق والغرب، أحمد آل بوطامي ط ثلاثة مطابع قطر الوطنية بالدوحة .
- ٦ . الإسلام والمسيحية في العالم المعاصر ، مونتجمري وات ، ترجمة د/عبد الرحمن عبد الله الشيخ ط ٢٠٠١م الهيئة المصرية العامة بالقاهرة .
- ٧ . الإصابة في تاريخ الصحابة، الحافظ ابن حجر العسقلاني ط أولى ١٩٩٢ دار الجيل بيروت.
- ٨ . اقتضاء الصراط المستقيم ، الإمام ابن تيمية ط ثانية مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة .
- ٩ . إنذار من السماء ، نيازي عز الدين ط أولى ١٩٩٦م الأهالي للطباعة بيروت .
- ١٠ . تاريخ الشعوب الإسلامية ، كارل بروكلمان ط سادسة دار العلم بيروت .
- ١١ . تفسير القرآن العظيم ، الإمام ابن كثير ط أولى ١٩٩٨م دار الكلمة بالمنصورة .
- ١٢ . التفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازي ط دار الغد العربي بالقاهرة .
- ١٣ . حضارة العرب لجوستاف ليون ترجمة عادل زعيتر ط الهيئة العامة للكتاب بالقاهرة .
- ١٤ . حياة محمد ، إميل در منغام ، ترجمة عادل زعيتر ط ثانية ١٩٩٨م عيسى البابي الحلبي بالقاهرة .
- ١٥ . حياة محمد، واشنطن إرفنج ترجمة د/على حسني الخربوطلي ط ثانية ١٩٦٦م دار المعارف بالقاهرة .
- ١٦ . سيرة الرسول ﷺ في تصورات الغربيين د/ محمود زقزوق ط أولى ١٩٨٧م مكتبة وهبة بالقاهرة
- ١٧ . السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة د/محمد أبو شهبه ط أولي دار القلم بيروت.
- ١٨ . شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار طبعة ثانية ١٩٨٨م مكتبة وهبة.

١٩. العقيدة الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن حبنكة الميداني ط ١٢، ٢٠٠٤م دار القلم دمشق.
٢٠. العقيدة والشريعة في الإسلام اجناس جولدتسيهر ترجمة د/محمد يوسف موسى وآخرين ط ١٩٤٦
دار الرائد العربي بيروت ..
٢١. الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم ط السلام العالمية بالقاهرة .
٢٢. في ظلال القرآن ط سابعة ١٩٧١م دار احياء التراث العربي بيروت .
٢٣. لسان العرب، ابن منظور ط دار المعارف بالقاهرة.
٢٤. مباحث في علوم القرآن ، صبحي الصالح ط دار العلم للملايين .
٢٥. محمد رسول الله ﷺ ، الشيخ محمد الصادق عرجون ط ثانية ١٩٩٥م دار القلم بيروت .
٢٦. محمد في مكة ، مونتجمري وات ، ترجمة د/عبد الرحمن الشيخ ، حسن عيسى ط ٢٠٠٢م الهيئة
المصرية العامة بالقاهرة.
٢٧. المستشرقون لنجيب العقيقي ط رابعة دار المعارف بالقاهرة .
٢٨. المستشرقون والإسلام، زكريا هاشم ط ١٩٦٥ المجلس العلى للشتون الإسلامية بالقاهرة.
٢٩. مفاتيح الغيب ، فخر الدين الرازي ط أولى دار الغد العربي بالقاهرة .
٣٠. مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية لجماعة من العلماء ط ١٩٨٥م مكتب التربية
العربي بالرياض .
٣١. مناهل العرفان في علوم القرآن ، الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني ط دار إحياء الكتب العربية
بالقاهرة.
٣٢. المنقذ من الضلال ، الإمام الغزالي تحقيق د/عبد الحليم محمود ، ط دار الكتب الحديثة بالقاهرة .
٣٣. النبأ العظيم للدكتور محمد دراز ط ١٩٩٦م دار القلم بالقاهرة .
٣٤. الوحي القرآني في المنظور الاستشراقي ونقده للدكتور محمود ماضي ط أولى ١٩٩٦م دار الدعوة
بالإسكندرية .
٣٥. الوحي المحمدي ، الشيخ محمد رشيد رضا ط سادسة ١٩٦٠ القاهرة .
إلى غير ذلك من المراجع المذكورة في ثنايا البحث .

(١) الاستشراق تعبير يدل على الاتجاه نحو الشرق ، ويطلق على كل ما يبحث في أمور الشرقيين وثقافتهم وتاريخهم ، ويقصد به ذلك التيار الفكري الذي يتمثل في إجراء الدراسات المختلفة عن الشرق الإسلامي ، والتي تشمل حضارته وأديانه وآدابه ولغاته وثقافته ، ولقد أسهم هذا التيار في صياغة التصورات الغربية عن الشرق عامة والعالم الإسلامي بصورة خاصة ، معبرا عن الخلفية الفكرية للصراع الحضاري بينهما .

(٢) شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ص ٥٦٣ طبعة ثانية ١٩٨٨ مكتبة وهبة.

(٣) راجع : لسان العرب ، ابن منظور ج٦ ص ٤٧٨٧ ط دار المعارف بالقاهرة ، والوحي اخمدي ، محمد رشيد رضا ص ٣٤ ط سادسة ١٩٦٠ القاهرة .

(٤) راجع: المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني ص ٥١٤.

(٥) راجع : الوحي اخمدي ، محمد رشيد رضا ص ٢٤، وتأويل مشكل القرآن ابن قتيبة ص ٣٧٣.

(٦) العقيدة الإسلامية وأسسها ، عبد الرحمن حبنكة الميداني ص ٤٥٦ ط ثانية عشر ٢٠٠٤ م دار القلم دمشق .

(٧) رسالة التوحيد / محمد عبده تحقيق د / محمد عمارة ص ١٠٣ .

(٨) راجع : مباحث في علوم القرآن ، صبحي الصالح ص ٥٠ ط دار العلم للملايين .

(٩) راجع : مناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني ج ١ ص ١٤-١٦ .

(١٠) راجع : العقيدة الإسلامية وأسسها ص ٤٦٠ .

(١١) البخاري في صحيحه ج ١٢ ص ٣٦٨ ، فتح الباري .

(١٢) راجع : العقيدة الإسلامية وأسسها ص ٤٦٠ ، ٤٦١ .

(١٣) راجع: المنقذ من الضلال، الإمام الغزالي ص ١٣٤، ت. د/عبد الحلیم محمود ط دار الكتب الحديثة بالقاهرة.

(١٤) هو : كارل بروكلمان، مستشرق ألماني، تعلم اللغة العربية، وكان عالماً بتاريخ الأدب العربي، وعضو

الجمع العربي. مات سنة ١٩٥٦م راجع : الإعلام للزركلبي ج ٥/٢١١، ٢١٢ .

(١٥) هو : أمية بن عبد الله بن أبي الصلت بن أبي ربيعة بن عوف الثقفي، شاعر جاهلي من أهل الطائف،

وقد لقي النبي ﷺ، ولم يؤمن به، مات سنة ٥هـ راجع: البداية والنهاية ج ٢/٢٠٥ - ٢١٣ .

(١٦) تاريخ الشعوب الإسلامية ، كارل بروكلمان ص ٣٦ ط سادسة دار العلم بيروت .

(١٧) النبأ العظيم للدكتور محمد دراز هامش ص ٦٧ ط ١٩٩٦ م دار القلم بالقاهرة .

- (١٨) راجع : مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي ج٣١ ص ٢٤٤، ٢٤٥ ط أولى دار الغد العربي بالقاهرة.
- (١٩) الوحي المحمدي ، محمد رشيد رضا ص ٩١ .
- (٢٠) راجع : الوحي المحمدي محمد رشيد رضا ص ٩٣ .
- (٢١) راجع : الوحي المحمدي ص ٩٩ .
- (٢٢) أخرجه البخاري في صحيحه ج ١ ص ٣١، ٣٠ ، ج ٨ ص ٥٨٥ ، ومسلم في صحيحه ج ١ ص ٤٧٥، ٤٧٤ .
- (٢٣) أخرجه البخارى في صحيحه ج ٦ ص ٣٥٢ ، ج ٨ ص ٢٨٢ ، ج ١٣ ص ٤٤٥ ، من حديث ابن عباس رضي الله عنه .
- (٢٤) راجع : مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية لجماعة من العلماء ، ج ١ ص ٢٧ ط ١٩٨٥ م مكتب التربية العربي بالرياض .
- (٢٥) مستشرق مجرى يهودى، عرف بعدائه للإسلام، وبخطورة كتاباته عنه، توفى سنة ١٩٢١ م ، راجع: الأعلام للزركلى ج ١ ص ٢٨٤ .
- (٢٦) العقيدة والشريعة في الإسلام اجناس جولدتسيهر ص ٧ ترجمة د/محمد يوسف موسى وآخرين ط ١٩٤٦ دار الرائد العربي بيروت .
- (٢٧) هو : الويس اشبرنجر، مستشرق نمساوى الأصل تجنس بالجنسية البريطانية، عمل أستاذا للغات الشرقية في جامعة برن بسويسرا توفى سنة ١٨٩٣ م ، راجع: الأعلام ج ٢ ص ٨ ، والمستشرقون لنجيب العقيقي ج ٢ ص ٦٣١، ٦٣٢ .
- (٢٨) مستشرق ألماني ، كان أستاذا للغات الشرقية ، توفى سنة ١٨٨٩ م ، راجع : آراء المستشرقين حول القرآن وتفسيره د/عمر إبراهيم رضوان ج ١ ص ٢٢٩ ط أولى ١٩٩٢ م دار طيبة بالسعودية .
- (٢٩) راجع: آراء المستشرقون حول القرآن وتفسيره ج ١ ص ٣٩٨ .
- (٣٠) راجع : الإسلام والمستشرقين لنخبة من العلماء ص ٢٠٢ ، والاستشراق دراسة تحليلية تفويجية ، د/محمد عبد الله الشراقوي ص ١٣٥ ، ط دار الفكر العربي بالقاهرة .
- (٣١) راجع : الإسلام في تصورات الغرب ، د/ محمود حمدي زقزوق ص ٩٢ ط ١٩٨٧ م مكتبة وهبة بالقاهرة، وكذا سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم في تصورات الغربيين للدكتور محمود زقزوق ص ٢٠ ط أولى ١٩٨٧ م مكتبة وهبة بالقاهرة ، وكذا الوحي القرآني في المنظور الاستشراقي ونقده للدكتور محمود ماضى ص ١٠٩ ط أولى ١٩٩٦ م دار الدعوة بالإسكندرية .
- (٣٢) حضارة العرب لجوستاف ليون ترجمة عادل زعيتر ص ١١٤ ط الهيئة العامة للكتاب بالقاهرة .
- (٣٣) مستشرق ألماني عمل أستاذا للغات السامية والتاريخ الإسلامي ، وكان متضلعا في لغات كثيرة كالعربية والسامية والفارسية والتركية والألمانية والإنجليزية والفرنسية ، توفى سنة ١٩٣٠ .
- (٣٤) راجع : الاستشراق دراسة تحليلية تفويجية ، د/ محمد عبد الله الشراقوي ص ١٣٦ .

- (٣٥) التفسير الكبير ج ١٣ ص ١٥ .
- (٣٦) في ظلال القرآن ج ٦ ص ٦٥٩ .
- (٣٧) هو ركانة بن يزيد بن هاشم القرشي ، كان من أشد الناس ، مات في أول خلافة معاوية سنة ٤٤٢ هـ .
- (٣٨) راجع : الإصابة في تاريخ الصحابة، ابن حجر العسقلاني ج ٢ ص ٤٩٧ ط أولى ١٩٩٢ دار الجليل بيروت .
- (٣٩) أخرجه البخارى في صحيحه ج ٣ ص ١٠٥١ ، ١٠٥٤ ، ١٠٧١ ، ١٠٧٧ ، ج ٤ ص ١٥٦٨ ، ومسلم في صحيحه ج ٣ ص ١٤٠٠ ، ١٤٠١ من حديث البراء بن عازب رضى الله عنه .
- (٤٠) أخرجه أحمد في مسنده ج ٣ ص ٣٧٦ ، وابن حبان في صحيحه ج ١١ ص ٩٥ ، وكليهما من حديث جابر رضي الله عنه .
- (٤١) مستشرق انجليزي مسيحي زار الجزيرة العربية ودرس عادات القبائل فيها .
- (٤٢) راجع : المستشرقون والإسلام، زكريا هاشم ص ٣١٦ ط ١٩٦٥ المجلس العلى للشئون الإسلامية بالقاهرة .
- (٤٣) مستشرق ألماني، من كبار أطباء العيون العالميين، وفي طليعة مؤرخي الطب العربي؛ تعد اكتشافاته فيه، وكتابه عنه، بالفرنسية والإنجليزية والألمانية، مرجعاً دقيقاً واثياً، توفي بالقاهرة سنة ١٩٤٥ م .
- (٤٤) الإسلام والرسول في نظر منصفى الشرق والغرب، أحمد آل بوطامى ص ١٦٢ ط ثالثة مطابع قطر الوطنية بالدوحة .
- (٤٥) راجع : السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة د/محمد أبو شهبة ج ١ ص ٢٧٥ ط أولي دار القلم بيروت .
- (٤٦) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه ج ١ ص ٤ ، ومسلم في صحيحه ج ٤ ص ١٨٦٦ .
- (٤٧) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه ج ١ ص ٢٧ ، ج ٤ ص ١٧٩٣ ، وكذا أخرجه مسلم في صحيحه ج ١ ص ٣٧ ، ٣٩ ، ٤٠ .
- (٤٨) هو دحية بن خليفة الكعبي شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المشاهد كلها ما عدا بدر ، وكان من أجمل الناس ، والحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده ج ٢ ص ١٠٧ .
- (٤٩) راجع : السيرة النبوية ، د/ محمد أبو شهبة ج ١ ص ٢٧٦ - ٢٧٨ .
- (٥٠) راجع : السيرة النبوية ، د/ محمد أبو شهبة ج ١ ص ٢٧٩ .
- (٥١) هو ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ، كان نصرانياً قد تتبع الكتب من أهلها ، حتى علم علماً من أهل الكتاب، راجع: البداية والنهاية لابن كثير ج ١ ص ٧٣٥ ، والسيرة النبوية لابن هشام ج ١ ص ١٣٩ .

- (٥٢) بحسبنا : بفتح الباء وكسر الحاء، راهب، قيل: كان يهودياً، وقيل: كان نصرانياً يقال له جرجيس، لقيه النبي ﷺ قبل البعثة، راجع : البداية والنهاية ج ١ ص ٧٢٣، ٧٢٤ .
- (٥٣) هو راهب من الرهبان اطلع إلى محمد ﷺ وهو في صحبة غلام خديجة ميسرة .
- (٥٤) ويكتب أحياناً درمنجم وكلاهما صحيح ، وهو مستشرق فرنسي ، له كتاب حياة محمد .
- (٥٥) راجع : حياة محمد ، إميل در منغام ، ترجمة عادل زعيتر ص ١٢٥، ١٢٦ ، ط ثانية ١٩٩٨ م عيسى البابي الحلبي بالقاهرة .
- (٥٦) العقيدة والشريعة في الإسلام ص ٥ ، ٦ .
- (٥٧) العقيدة والشريعة ص ١٣ ، ١٤ .
- (٥٨) العقيدة والشريعة ص ١٩ .
- (٥٩) مستشرق انجليزي متخصص في الدراسات الإسلامية في الغرب ، له مؤلفات كثيرة في هذا المجال .
- (٦٠) محمد في مكة ، مونتجمري وات ، ترجمة د/عبد الرحمن الشيخ ، حسن عيسى ص ١٢١ ط ٢٠٠٢ م الهيئة المصرية العامة بالقاهرة .
- (٦١) الإسلام والمسيحية في العالم المعاصر ، مونتجمري وات ، ترجمة د/عبد الرحمن عبد الله الشيخ ص ٨٩ ط ٢٠٠١ م الهيئة المصرية العامة بالقاهرة .
- (٦٢) مستشرق أمريكي، من أعلام الكتاب الأمريكيين، صدر كتابه حياة محمد في نيويورك عام ١٨٤٩ م .
- (٦٣) حياة محمد ، واشنطن إرفنج ترجمة د/على حسني الخربوطلي ص ٤٨ ط ثانية ١٩٦٦ م دار المعارف بالقاهرة .
- (٦٤) حياة محمد ، واشنطن إرفنج ص ٤٨ .
- (٦٥) حياة محمد ، واشنطن إرفنج ص ٥٦ .
- (٦٦) مستشرق انجليزي ، عمل أستاذاً للغة العربية في جامعة أدنبره .
- (٦٧) راجع : الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري ، د/محمود حمدي زفروق ص ٨٨ ، ٨٩ ط دار المعارف بالقاهرة .
- (٦٨) تاريخ الشعوب الإسلامية ص ٤٦ ، ٤٧ .
- (٦٩) راجع: تاريخ الشعوب الإسلامية ص ٣٤ .
- (٧٠) راجع القصة في السيرة النبوية لابن هشام ج ١ ص ٢٣٦ - ٢٣٨ .
- (٧١) راجع : الطبقات الكبرى لابن سعد ج ١ ص ٢١٦ ، والسيرة النبوية لابن هشام ج ١ ص ١١٢ .
- (٧٢) راجع : الطبقات الكبرى لابن سعد ج ١ ص ٢١٨ ، وكذا متأهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني ج ٢ ص ٤٢١ ، ٤٢٢ ط دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة .

- (٧٣) هذا جزء من حديث أخرجه البخاري في صحيحه ج ١ ص ٤ من حديث عائشة رضي الله عنها .
- (٧٤) راجع : السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة ، د / محمد أبو شهبة ج ١ ص ٢١٧ .
- (٧٥) أخرجه البخاري في صحيحه ج ٣ ص ١٢٧٥ ، ج ٥ ص ٢٢١٠ ، ومسلم في صحيحه ج ٣ ص ١٦٦٣ .
- (٧٦) أخرجه أبو داود في سننه ج ١ ص ١٧٦ ، والبيهقي في سننه، ج ٢ ص ٤٣٢ .
- (٧٧) أخرجه مسلم في صحيحه ج ٢ ص ٢١٤ .
- (٧٨) هو : أحمد بن عبد الخليم بن تيميه الخرائي الدمشقي، توفي سنة ٧٢٧هـ .
- (٧٩) اقتضاء الصراط المستقيم ، ابن تيمية ج ١ ص ٦٢ ط ثانية مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة .
- (٨٠) أخرجه البخاري في صحيحه ج ٣ ص ٥١٣ ، ج ٤ ص ٢٨٧ ، ومسلم في صحيحه ج ٤ ص ٢٥٨ .
- (٨١) أخرجه مسلم في صحيحه ج ٤ ص ٢٦٦ عن ابن عباس رضي الله عنهما .
- (٨٢) الفرائق : الأصنام .
- (٨٣) محمد في مكة ، مونتجمري وات ص ٢٠٩ .
- (٨٤) محمد في مكة ، مونتجمري وات ص ٢١٥ ، ٢١٦ .
- (٨٥) كاتب سورى معاصر ، هاجر إلى أمريكا، زعم أن السنة المطهرة، وضعها أئمة المسلمين، من الفقهاء والمحدثين، لتثبيت ملك السلطان .
- (٨٦) إنذار من السماء ، نيازي عز الدين ص ٤٣٧ ط أولى ١٩٩٦م الأهالي للطباعة بيروت .
- (٨٧) راجع : إنذار من السماء ص ٥٢٣ .
- (٨٨) الوحي اعلمي ص ٣٩ .
- (٨٩) راجع : السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة ، د/ محمد أبو شهبة ج ١ ص ٣٧١ ، ٣٧٢ .
- (٩٠) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، القاضي عياض ج ٢ ص ١١٧ ، ١١٨ ط ١٣٢٤ هـ .
- (٩١) الشفا ج ٢ ص ١١٧ ، ١١٨ .
- (٩٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم ج ٤ ص ١٨ ط السلام العالمية بالقاهرة .
- (٩٣) التفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازي ج ١١ ص ٢٩٨ ، ٢٩٩ ط دار الغد العربي بالقاهرة .
- (٩٤) تفسير القرآن العظيم ، عماد الدين ابن كثير ج ٣ ص ٢٨٠ ط أولى ١٩٩٨م دار الكلمة بالمنصورة .
- (٩٥) محمد رسول الله ﷺ ، الشيخ محمد الصادق عرجون ج ٢ ص ٦٩ ط ثانية ١٩٩٥م دار القلم بيروت .
- (٩٦) راجع : التفسير الكبير ، الإمام الرازي ج ١١ ص ٢٩٩ ، ٣٠٠ .
- (٩٧) البخاري في صحيحه ج ٤ ص ١٨٤٢ ، ط الثالثة ١٩٨٧م دار بن كثير بيروت .
- (٩٨) البخاري في صحيحه ج ١ ص ٣٦٤ ، ج ٣ ص ١٣٩٩ .
- (٩٩) راجع : السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة للدكتور محمد أبو شهبة ج ١ ص ٣٦٧ .

- (١٠٠) في ظلال القرآن ج ٧ ص ٦٣٧-٦٣٩ ط سابعة ١٩٧١م دار احياء التراث العربي بيروت .
- (١٠١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ج ١٣ ص ٣٥٠ ط دار الغد بالقاهرة .
- (١٠٢) فتح الباري ج ١٣ ص ٣٥٠ .
- (١٠٣) الحديث المرسل : قيل هو ما أضافه التابعي الذي لم يلق النبي للنبي صغيرا كان أو كبيرا ، ولم يذكر الواسطة، وقيل هو ما أضافه التابعي الكبير إلى النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير ، والقول الأول هو المشهور عند المحدثين.
- (١٠٤) صحيح مسلم ، ج ١ ص ١٣٢ "نوي" ط دار الكتب العلمية بيروت .
- (١٠٥) صحيح مسلم ج ١ ص ٣٠ .
- (١٠٦) راجع : مقدمة ابن الصلاح للحافظ أبي عمرو عثمان بن عبد الرحمن ط دار الكتب العلمية سوريا .
- (١٠٧) راجع : السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة ، د/محمد أبو شهبه ج ١ ص ٣٦٩ .

